

محمد خير رمضان يوسف

توزيع
دار ابن حزم

كذبة نيسان

في الميزان

محمد خير رمضان يوسف

توزيع

دار ابن حزم



الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٨م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

قال وقلت

قال: لم أقصد الكذب.

قلت: لكنه كذبٌ في الحقيقة وفي الواقع. أليس هو خلاف الصدق؟

قال: بلىٰ، ولكني لم أتعمَّده.

قلت: ألم تُبَيِّتْ له؟ ألم تخطِّطْ له؟ ألم تستخدم لذلك كلَّ قُواكَ وحواسِّك؟ ألم تنفِّذه؟

قال: بلى، هذا ما حصل.

قلت: فإن لم يُسَمَّ هذا كذباً عمداً، فماذا يكون؟

قال: أعني أنني كنتُ أمزح.

قلت: المزاحُ هو المداعبة، والملاطفة، وتطييبُ القلب؛ فهل داعبتَ صغيراً، أو لاطفتَ أهلاً وصديقاً، أو طيَّبتَ قلباً حزيناً كئيباً؟

قال: لم يحصلْ شيءٌ من هذا، إنما أقصدُ أنني كنتُ أمزحُ بكذبي هذا.

قلت: لقد اعترفتَ بأنك كنتَ كاذباً في مزحكَ هذا.

قال: أجل.

قلت: وهل الكذبُ ملازمٌ للمزاح؟ أو هل ينبغي أن تكذبَ إذا مزحت؟

قال: أراكَ قد ضيّقتَ عليّ.

قلت: الكلامُ أوسعُ من أن تقتصرَ على مزاحٍ فيه كذب. وقد مازحَ رسولُ الله ﷺ نساءه، وصحابته، وأولادهم، ولكنه لم يقلْ في كلّ ذلك إلا حقّاً. ونهى عن المزاح بالكذب. ولا ينبغي الإكثارُ منه.

قال: فماذا أفعلُ إذاً؟

قلت: ماذا تفعل؟ يعني إما أن تكذب، أو تمزحَ كاذباً، أو لا تفعلَ شيئاً؟!

قال: الناسُ كلُّهم يكذبون في أول نيسان (أبريل) فماذا عليّ لو فعلتُ مثلَهم؟

قلت: كلا، الناسُ كلُّهم لا يكذبون، إنما يكذبُ الكاذب، والصادقُ يبقى أميناً صادقاً. ولا يغترُّ أصيلُ النفسِ بمثلِ هذه الترّهات، ولا يجدُ الكذبُ إليه سبيلاً.

قال: وكأنك لا تعيشُ في هذا المجتمع، ولا تسمعُ أصواتَ الأبواق في كلّ مكان، ولا درايةَ لك بأفانين الأصدقاء في هذا اليوم!

قلت: من شاركَ ناساً في عاداتهم السيئة فهو «إمّعة» أو «مايع» في تعبيرنا المعاصر. وقد حذّرنا رسولُ الله ﷺ من أن يكونَ أحدنا إمّعةً، إن أحسنوا أحسنّا وإن أساؤوا أسأنا، بل نبّهَ إلى أن على المسلم أن يُحسِنَ إذا أساء الناس، فهو ذو عقيدة، وصاحبُ رسالة، ورجلُ إصلاح.

قال: إنما أقلّدُ عادةً وافدةً من الغرب.

قلت: فأنت تجمعُ بين منكرين: التشبُّه بهم (وهو منهيٌّ عنه) والكذب (وهو حرام)، فهنيئاً لك!

قال: الناسُ يعرفون أن هذا يومٌ يُكْذَبُ فيه، ولا يصدِّقُ فيه الكلامَ إلا مغفَّل!

قلت: لقد أسأتَ يا صاح، ولم تطبْ نفسُكَ حتى اتهمتَ من يثقُ بكلامكَ بأنه مغفَّل!!

هذا بدلَ أن تحاربَ هذه العادة السيئة، وتُعينَ على إزالتها، وتنادي بأن يكون هذا «**يوم الصدق**»، حيثُ أُمرنا ـ معشرَ المسلمين ـ بمخالفة المشركين[1].

وهذه الدعوة تكون حثّاً على الصدق، وتعريفاً به وبمصدره، وتذكيراً بأهله الطيبين، وافتخاراً بهم، وتربيةً لنشئنا على التحلّي بالصدق وتجنُّبِ الكذب، وتحذيرِهم من تقليدِ الآخرين بما يجلبُ فساداً ويفرّخُ شرّاً.

قال: أرجو ألاّ أكون من الخُلق السيِّء بما ظننت.

قلت: بل أخشى أن تحملَ بين جنبيكَ صفةً ذميمةً ساكنةً في أعماقِ نفسك، ولا تكتشفُ إلا في مثلِ هذه الحالات.

قال: وما هي؟

قلت: أن تفرحَ عندما يصيبُ الآخرين سوءٌ، وتضحكَ من أعماقِ قلبك عندما يألمون من أعماق شعورهم، وتقهقه عندما ترى الدموعَ في عيونهم، وترتاحَ عندما تعرفَ بأنهم قد وقعوا في فخ!

قال: لا أخفي عليك.. إن الذين يكذبون في أبريل، يتمنّوْن أن تنجحَ خُططهم وأحابيلهم للإيقاع بـ«الفريسة». ويتباهونَ بين زملائهم إن أصابتْ سهامهم.

قلت: إني أشمُّ رائحةَ الأنانيةِ المُقيتةِ من أمثالِ هؤلاء، الذين تُنبىءُ أعمالهم عن سخريةٍ وتهكُّم لا دُعابة واستلطاف، ولا شكَّ أنه

---

(١) وأعرف في بلدتنا عالماً كان يتخذ غداءه عدساً في رأس السنة الميلادية، مخالفاً بذلك عادة المشركين من الانبساط في المأكولات وما إلى ذلك، وداعياً إلى ما هو عليه.. وكان هذا ديدنه كلَّ عام!

تسكنُ في نفوسهم خصلةٌ أو خصالٌ ذميمة، وأقلُّ ما يُقال فيهم إنهم يحبون إيذاءَ الآخرين. فإياك أن تكون منهم، وإلا أصابتكَ سهامُهم الطائشة.. ولات حين مندم.

قال: وماذا لو كذبتُ كذبةً واحدة، وخفيفة؟

قلت: أراك تتهالكُ على الكذبِ تهالكَ الفراشةِ على النار، ولا شكَّ أنك ستقعُ فيه إذا كنتَ صاحبَ هذا «العزم»!

واعلم أن الكذبة الأولى خطيرة.. فالكذبُ «شهيٌّ» كما قال الحكماء. ومن استمرأ الكذبة الأولى انزلقَ إلى الثانية.. وهكذا. ومن رآك تكذبُ فقدَ ثقته بك.

قال: ....

قلت: لا مزيدَ للعاقل عندي، وعُدْ إلى ما قلته لك من الأول إذا رغبت في ذلك.

وماذا في الأمرِ لو كتبتُ عن الكذب ومخاطرِه وصوره، وأشبعتُه بالنصوصِ والشواهدِ أكثرَ من الحديثِ عن قصصٍ وحكاياتِ كذباتِ نيسانَ التي لا تنتهي، والتي ليس فيها خيرٌ وأدنى خير؟!

إن أكثرَ الناسِ لا يعرفون هذا التفصيل.. وإنما عنيتُ بـ«الميزان» أن يُقاس ما في الفصل الثاني على الأول ـ وما أكثر ما اختلّت الموازين عند الناس ـ فلعلَّ العاقلَ يمرُّ عليها فيؤوبَ إلى رشده، أو لعلَّ الشيطان زيَّنَ لنفسٍ طيّبةٍ كذبةً، ولم يدعها حتى حملها على أن تلفظَ بها.. فانتهى إلى هذه النصائح فانتصح.

والنفوسُ الأصيلةُ ـ وهي التي تحبُّ الخيرَ وتهتدي به ـ إذا ذُكِّرتْ آبتْ وحمدت وأصلحت، وغيرُها تمضي في غيِّها، فلا ينفعها تبليغٌ ولا إنذار.

ومن لم يؤدِّبْهُ الحرفُ واللسان، أدَّبَتْهُ التجاربُ والأيام.

وقد يندمُ المرءُ بعد فوات الأوان.

وما أقصرَ عمرَ الإنسان!

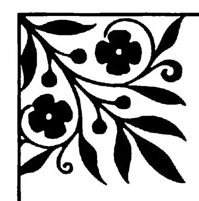
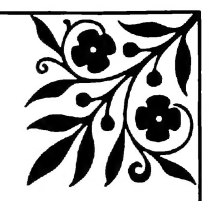
ولا أُخفي عليك، فإن الذي بعثَ هذه الأوراق القديمةَ من رُقادها، ما لجأ إليه زميلٌ في العمل، من إشاعةِ كذبةٍ في أول هذا العام الميلادي (١٩٩٧م)، وكان في الستين من عمره أو ينوف!

فتعجبتُ... وعلمتُ إلى أيِّ مدى تستحكمُ العادة السيئة في الإنسان...

اللهم هذا بلاغ.

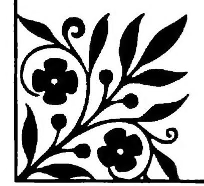
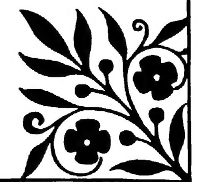
محمد خير يوسف

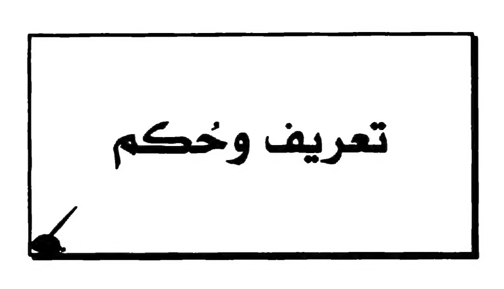
٨/١٢/ ١٤١٧هـ

الفصل الأول

خطورة الكذب وصوره المرفوضة



تعريف وحُكم

حقيقةُ الكذبِ هي الإخبارُ عن الشيء بخلافِ الواقع.

وليس الإخبارُ مقصوراً على القول، بل قد يكون بالفعل، كالإشارة باليد، أو هزِّ الرأس، وقد يكون بالسكوت!

والكذبُ نقيضُ الصدق.

والصدقُ مطابقةُ القولِ الضميرَ والمخبَرَ عنه معاً. ومتى انخرطَ شرطٌ من ذلك لم يكن صدقاً تاماً، بل إمّا أن لا يوصفَ بالصدق، وإما أن يوصفَ تارةً بالصدقِ وتارةً بالكذب على نظرين مختلفين، كقولِ كافرٍ إذا قال من غير اعتقاد: «محمد رسولُ الله»، فإن هذا يصحُّ أن يُقالَ صدقٌ لكونِ المخبَرِ عنه كذلك، ويصحُّ أن يُقال كذبٌ لمخالفة قولِه ضميرَه. وبالوجه الثاني إكذابُ الله تعالى المنافقين، حيث قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾[1].

فالكذبُ هو الإخبارُ عن الشيء بخلافِ ما هو عليه، وتغيير للقول الصادق وانحرافٌ عنه وتكبُّر عليه، وذلك رغبةً في منفعة أو خوفاً من عقاب. وهو حرام:

فإن عُلِمَ الضررُ فيه كان من الكبائر، وإلا فمن الصغائر.

---

(١) سورة المنافقون، الآية ١.

وإن كانت فيه مصلحة تقاومُ ذلك الضررَ صار مندوباً تارة، وواجباً تارة أخرى، على ما يأتي بيانه[1].

---

(1) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٧، رياض الصالحين ص ٦٨٠ (الهامش)، الكذب: مظاهره ـ علاجه ـ ص ٧، جريدة العالم الإسلامي ع ١٣١٤ (محرم ١٤١٤هـ).

حقيقة الكذب ودلالته

الكذبُ داءٌ عظيمٌ خطير، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب.

وهو بريدُ الكفر، والنفاق، ودليله، ومركبه، وسائقه، وقائده، وحليته، ولباسُه، ولبُّه.

وقد جُعلَ من آياتِ النفاق وعلاماته. ويعدُّ وجودُه قادحاً كبيراً في إيمان المرء، لأنه مجانبٌ للإيمان.

وهو خُلقٌ ذميمٌ مستقبح. وكان أبغضَ الخُلقِ إليه ﷺ.

وقد ذكر أهل العلم أن الإيمانَ والكذبَ لا يتفقان، لأن الإيمانَ أساسُه الصدق، والنفاقُ أساسُه الكذب، فلا يجتمع كذبٌ وإيمان إلا وأحدهما يحاسبُ الآخر[1].

وهو غدرٌ خبيثٌ واستغلالٌ وضيع، لثقةِ سامعكَ بك، وجديرٌ بك ألاّ تخونَ من ائتمنك وسامعُكَ يأتمنك[2].

---

(1) إحياء علوم الدين ۱۹۸/۳، نشرة الجامعة السلفية (رجب ١٤٠٧هـ) ص ١٤، الكذب ص ٣.

(2) فلسفة الكذب ص ٤٤.

اسباب الكذب ودوافعه

- تضليلُ الناس، لا سيما العامّةَ الذين لا يعلمون بواطنَ الأمور ويتبعون ظواهرَها دون تمحيص، سواء للتفاخر، أو لمكسب دنيوي لو غيره، مثل من يكذب في ثمن شراء أرض أو سيّارة، أو إيهام أهلِ المخطوبة بمعلومات غير صحيحة... وغيرها.

- قلةُ الخوفِ من الله تعالى وعدمُ مراقبتِهِ في كلِّ دقيقةٍ وجليلة.

- عدم تحمُّل المسؤولية، ومحاولةُ الهربِ من الحقائقِ في الأزماتِ والمواقف.

- الخوفُ من النقد.

- الخوفُ من العقابِ أو العتاب.

- اعتيادُ الكذبِ وإلفه.

- تأثيرُ البيئة والمجتمع، ومسايرةُ المجالسِ ولفتُ الأنظارِ بقصصٍ ومعلومات كاذبة.

- سوءُ التربية.

- المباهاةُ بالكذبِ وأنه نوعٌ من الذكاءِ ومن سرعةِ البديهة وحسن التصرف.

- الهذَرُ وكثرةُ الكلام، قال رسولُ الله ﷺ: «كفى بالمرءِ كذباً أن يحدِّث بكلِّ ما سمع». رواه مسلم.

قال ابن علان: معنى الحديث والآثار المذكورة في الباب: الزجرُ عن التحدُث بكلِّ ما سمع، فإنه يسمعُ الصدق والكذب، فإن حدَّث بكلِّ ما سمع فقد كذب، لإخباره بما لم يكن(١).

وقال الإمام الغزالي:

أكثرُ كذبِ الناسِ إنما هو لحظوظِ أنفسهم، ثم هو لزياداتِ المال والجاه، ولأمورٍ ليس فواتُها محذوراً، حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفخرُ به، وتكذبُ لأجلِ مراغمةِ الضرّات، وذلك حرام.

قال: ويدخلُ في هذا فتوى العالمِ بما لا يتحقّقه، وروايتُه الحديثَ الذي لا يتثبّته، إذ غرضُه أن يُظهِرَ فضلَ نفسه، فهو لذلك يستنكفُ من أن يقول: لا أدري. وهذا حرام(٢).

- وليحذرِ الآباءُ من الكذب، وخاصةً أمام أطفالهم، فإن الطفل ميّالٌ إلى الصدقِ فطرة، ولا يحيدُ عنه إلا لمؤثّرات، كما قرّر ذلك علماءُ النفس، لكنه سريعُ التقليد، ولن يجد صعوبةً في الكذب إذا رأى أباه، أو أمّه، أو معلّمَه، يفعل ذلك(٣).

---

(١) الكذب ص ١٣ ـ ١٤، الكذب مظاهره ـ علاجه ص ٢٣ ـ ٢٤، جريدة العالم الإسلامي ع ١٣١٤ (محرم ١٤١٤هـ)، رياض الصالحين ص ٦٨٨.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) وينظر في هذا: فلسفة الكذب من ص ٧٣، وص ٩٨...

وفي إحصائية أجراها «فرياني» عن أسباب الكذب لدى عدد من الأطفال المجرمين [لعله يعني الجانحين] فكان على النحو التالي، على الترتيب من الأكثر إلى الأقل:

باعث الغرائز والضعف، الدفاع عن النفس، الغرور والرغبة في أن ينالوا من غيرهم، المحاكاة، الأثرة، الغيرة والحسد وحب الانتقام، الخيال، الكسل، عزة النفس! المصدر السابق ص ١١٧.

الكذبة الأولى

إذا أساغَ المرءُ الكذبةَ الأولى سيُردفها بثانية وثالثة، حتى يُصبحَ الكذبُ عنده رذيلةً متأصّلة!

يقولُ المثلُ الإنجليزي: ليس هناك ما هو في افتقارٍ إلى الكذب إلا الكذبُ!

وقال زياد بن أبيه ـ الأميرُ الداهية ـ في خطبتهِ البتراءَ المشهورة:

إن كذبةَ المنبرِ بَلْقاءُ مشهورة، فإذا تعلّقتم عليّ بكذبةٍ فقد حلّتْ لكم معصيتي، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها فيّ، واعلموا أن عندي أمثالها[1]!

(١) فلسفة الكذب ص ٢٧. والخبر الأخير منقول من البيان والتبيين للجاحظ.

الترهيب من الكذب

يكفي ترهيباً للمسلم الذي يستعشرُ خوفَ الله تعالى، ويشفقُ على نفسه التي بين جنبيه يوم القيامة، قولُه عز وجل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[1] أي: ما يتلفَّظُ كلمةً من خيرٍ أو شر، إلا وعنده ملك يرقبُ قولَهُ ويكتبه، ومعنى «عتيد» أي حاضرٌ معه أينما كان، مهيّأً لكتابةِ ما أُمِرَ به. قال ابن عباس: يكتبُ كلَّ ما تكلَّمَ به من خير أو شر[2].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[3].

أي إن الذين لا يُصدِّقون بهذا القرآن لا يوفِّقهم الله لإصابة الحق، ولا يهديهم إلى طريق النجاة والسعادة، ولهم في الآخرة عذابٌ موجع مؤلم. وهذا تهديدٌ لهم ووعيد على كفرهم وافترائهم. ولا يكذب على الله إلا من لم يؤمن بالله ولا بآياته، لأنه لا يخافُ عقاباً يردعه. فالكذبُ جريمةٌ فاحشةٌ لا يُقدمُ عليها مؤمن، وهذا ردٌّ لقولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾[4]. فهؤلاء هم الكاذبون على الحقيقة، لا محمدٌ

---

(١) سورة ق، الآية ١٩.

(٢) صفوة التفاسير ٣/ ٢٤٤.

(٣) سورة النحل، الآيتان ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٤) في الآية ١٠١ من السورة نفسها.

الرسولُ الأمين[1].



● وقال رسولُ الله ﷺ:

«إن الصدق يهدي إلى البِرّ، وإن البرّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجلَ ليَصْدُقُ حتى يُكْتَبَ عند الله صدِّيقاً، وإن الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإن الفجورَ يهدي إلى النار، وإن الرجلَ ليكذبُ حتى يُكتبَ عند الله كَذّاباً». متفق عليه.

● وقال عليه الصلاةُ والسلام:

«أربعٌ من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَنْ كانت فيه خَصْلةٌ منهنّ كانت فيه خصلةٌ من نفاقٍ حتى يَدَعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهدَ غدر، وإذا خاصمَ فجر». متفق عليه.

● وقوله عليه الصلاة والسلام:

«أفرى الفِرى أنْ يُرِيَ الرجلُ عينيه ما لم تريا». رواه البخاري. وأفرى الفرى: أكذب الكذب. معناه: يقولُ رأيتُ فيما لم يَرَه[2].

● وعن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً ورسولُ الله ﷺ قاعدٌ في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك.

فقال لها رسولُ الله ﷺ: **«وما أردتِ أن تعطيه»**؟

قالت: أعطيه تمراً.

فقال لها رسولُ الله ﷺ: **«أما إنكِ لو لم تفعلي لكُتبتْ عليكِ كذبة»**[3].

---

(١) صفوة التفاسير ٢/١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) رياض الصالحين ص ٦٨٠.

(٣) رواه أبو داود، وفيه من لم يُسَمّ، وقال الحاكم: إن عبد الله بن عامر ولد في=

● وقال عليه الصلاة والسلام:

«إيَّاكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار»[1].

● وعنه ﷺ:

«كبرتْ خيانةً أن تحدِّث أخاك حديثاً هو لك به مصدِّقٌ وأنت له به كاذب»[2].

● وقال عليه الصلاة والسلام:

«إن التجارَ هم الفجّار».

فقيل: يا رسولُ الله أليس قد أحلَّ الله البيع؟

قال: **«نعم، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدِّثون فيكذبون»**[3].

● وقوله ﷺ:

«ما حلف حالفٌ بالله فأدخلَ فيها مثلَ جناحِ بعوضةٍ إلا كانت نكتةً في قلبهِ إلى يوم القيامة»[4]!

● **«ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله ولا ينظرُ إليهم ولا يزكِّيهم ولهم عذابٌ أليم: شيخٌ زانٍ، وملك كذّاب، وعائلٌ مستكبر»**. رواه مسلم.

= حياته ﷺ ولم يسمع منه. قال الحافظ العراقي: وله شاهد عن أبي هريرة وابن مسعود، ورجالهما ثقات، إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة. (إحياء علوم الدين ٣/ ٢٠٠ الهامش) وينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٧٤٨.

(١) أخرجه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة. قال الحافظ العراقي. وإسناده حسن. المغني عن حمل الأسفار ٣/ ١٩٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد وأبو داود عن سفيان بن أسيد، وضعَّفه ابن عدي، ورواه أحمد والطبراني عن النواس بن سمعان بإسناد جيد. المصدر السابق.

(٣) أخرجه أحمد والحاكم قال: صحيح الإسناد، والبيهقي عن عبد الرحمن بن شبل. المصدر السابق ٣/ ١٩٩. (وهو في شعب الإيمان ٤/ ٢١٨ رقم ٤٨٤٦).

(٤) أخرجه الترمذي والحاكم وصحَّح إسناده عن عبد الله بن أنيس. المصدر السابق.

● **«إن العبدَ ليكذبُ الكذبةَ ليتباعدُ الملكُ عنه مسيرةَ ميل من نتنِ ما جاء به»** أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب.

● **«من حلف على يمينٍ بإثم ليقتطع بها مالَ امرىءٍ مسلم بغير حقّ، لقي الله عزّ وجلّ وهو عليه غضبان»**. متفق عليه.

● **«يطبعُ المؤمنُ على كلِّ شيءٍ إلا الخيانة والكذب»**[1].

قال الإمام النووي في شرح الحديث الأول:

معناه: أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كلِّ مذموم، والبرُّ اسمٌ جامعٌ للخيرِ كلِّه. وأما الكذبُ فيوصلُ إلى الفجور، وهو الميلُ عن الاستقامة، وقيل الانبعاثُ في المعاصي.

وفيه حثٌّ على تحرِّي الصدق، وهو قصدُه والاعتناءُ به، وعلى التحذيرِ من الكذب والتساهلِ فيه، فإنه إذا تساهلَ فيه كَثُرَ منه، فعُرِفَ به، وكتبهُ الله لمبالغته «صدِّيقاً» إن اعتاده، أو كذّاباً إن اعتاده.

ومعنى «يُكتبُ» هنا: يُحكم له بذلك ويستحقُّ الوصفَ بمنزلة الصدِّيقين وثوابهم أو صفةِ الكذّابين وعقابهم. والمرادُ إظهارُ ذلك للمخلوقين، إما بأن يكتبه في ذلك ليشتهر بحظِّه من الصفتين في الملأ الأعلى، وإما بأن يلقى ذلك في قلوب الناس وألسنتهم، كما يوضعُ له القبول والبغضاء[2].

وفي رواية لمسلم: **«وإن العبد ليتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً»**.

قال الحافظ ابن حجر: وفي هذه الزيادة إشارةٌ إلى أن من توقّى الكذبَ بالقصدِ الصحيحِ إلى الصدقِ صار له الصدقُ سجيَّةً، حتى

---

(١) أخرجه البزار من حديث سعد بن أبي وقاص، قال الحافظ ابن حجر: وسنده قوي. فتح الباري ١٢/ ١٣٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٦٠.

يستحقّ الوصفَ به، وكذلك عكسه[١].

- وقال موسى عليه السلام: يا ربّ أيُّ عبادك خيرٌ لك عملاً؟

قال: من لا يكذبُ لسانُه، ولا يفجرُ قلبُه، ولا يزني فرجُه.

- وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بني إياك والكذب، فإنه شهيٌّ كلحم العصفور، عمّا قليل يُقليه صاحبُه.

- وقال عليٌّ رضي الله عنه: أعظم الخطايا عند الله اللسانُ الكذوب، وشرُّ الندامةِ ندامةُ يومِ القيامة.

- وقال الشعبي: ما أدري أيُّهما أبعدُ غوراً في النار: الكذّاب أو البخيل؟

- وقال ابنُ السمّاك: ما أراني أؤجرُ على تركِ الكذب، لأني إنما أدَعُه أَنَفة!

- وقيل لخالد بن صبيح: أيسمّى الرجلُ كاذباً بكذبةٍ واحدة؟

قال: نعم.

- وقال مالك بن دينار: الصدقُ والكذبُ يعتركان في القلب حتى يُخرجَ أحدُهما صاحبَهُ.

- وكلّمَ عمرُ بن عبد العزيز الوليدَ بن عبد الملك في شيء فقال له: كذبت!

فقال عمر: والله ما كذبتُ منذ علمتُ أن الكذبَ يشينُ صاحبَهُ[٢].

- وقال يزيد بن ميسرة: الكذبُ يسقي بابَ كلِّ شر، كما يَسْقي

---

(١) فتح الباري ١٢/١٣٦.

(٢) ما سبق من أقوال العلماء من إحياء علوم الدين ٣/٢٠١ ـ ٢٠٢.

الماءُ أصولَ الشجر[1]!

- وقال سفيان الثوري: من كذبَ سقطَ حديثُه[2].

- وقال وهب بن منبّه: الكذبُ في الحديث مثلُ الأَكِلَةِ في الخشبة، يُرى ظاهرُها صحيحاً وجوفها نخر، لا يزالُ من يغترُّ بها يظنُّ أنها حاملةٌ ما عليها حتى تنكسرَ على ما فيها ويهلكَ من اغترَّ بها. وكذلك الكذب في الحديث، لا يزالُ صاحبُه يغْتَرُّ به ويظنُّ أنه معينُه على حاجتِهِ وزائدٌ له في رغبته حتى يَعْرِفَ ذلك منه، ويتبيَّنَ لذوي العقولِ غرورُه، ويستنبطَ العلماءُ ما كان يستخفى به عنهم[3].

- وقال الإمام الحسن البصري: الكذبُ جماع النفاق[4].

- وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الكذبُ لا يصلحُ منه شيء، في جدٍّ ولا هزل، اقرؤوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[5] فهل ترون من رخصةٍ في الكذب[6]؟

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: أي اصدقوا، والزموا الصدق تكونوا من أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً[7].

- وقالت عائشة رضي الله عنها: ما كان خُلُقٌ أبغضَ إلى رسول الله ﷺ من الكذب! ولقد كان الرجلُ من أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) الكذب ص ٢٨.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٧٢.
(٣) المصدر السابق ٤/ ٣٧.
(٤) الزهد للإمام أحمد ٢/ ٢٤١.
(٥) سورة التوبة، الآية ١١٩.
(٦) الزهد والرقائق لابن المبارك ص ٤٩١ رقم ١٤٠٠، تفسير ابن كثير ٢/ ٣٩٩، الدر المنثور ٣/ ٥١٧، شعب الإيمان ٤/ ٢٠٢.
(٧) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٩٩.

يكذبُ عنده الكذبة، فما يزالُ في نفسهِ حتى يعلمَ أنْ قد أحدثَ منها توبة[1].

ـ وقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: إياكم والكذب، فإن الكذبَ مجانبُ الإيمان[2].

ـ وعن أبي حرزة أن العشر الآيات التي كتب الله تبارك وتعالى لموسى في الألواح: أن اعبدني ولا تشرك بي شيئاً، ولا تحلفْ باسمي كاذباً فإني لا أزكّي ولا أطهِّر من حلفَ باسمي كاذباً...[3]

ـ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تجدُ المؤمنَ كذاباً[4].

ـ وقال رضي الله عنه: لا تنظروا إلى صلاةِ أحدٍ ولا إلى صيامه، ولكن انظروا إلى من إذا حدَّث صدق، وإذا اؤتمن أدّى، وإذا أشفى ورع[5].

ـ وقال أنس رضي الله عنه: إن الرجلَ ليُحرمُ قيامَ الليلِ وصيامَ النهار بالكذبة يكذبها[6].

ـ وذكر سفيان أن الذي يكذبُ يتعرَّضُ لسخط الله[7].

ـ وقال الأحنف بن قيس: ليس للكذوب مروءة[8].

ـ وقال محمد بن كعب القرظي: لا يكذب الكاذبُ إلا من مهانة

---

(١) شعب الإيمان ٤/٢٠٨ رقم ٤٨١٥.
(٢) المصدر السابق ٤/٢٠٧ رقم ٤٨٠٧.
(٣) المصدر السابق ٤/٢٢٢ رقم ٤٨٥٨.
(٤) المصدر السابق ٤/٢٣٠ رقم ٤٨٨٧.
(٥) المصدر السابق ٤/٢٣٠ رقم ٤٨٨٨.
(٦) المصدر السابق ٤/٢٣١ رقم ٤٨٩٠.
(٧) المصدر السابق ٤/٢٣١ رقم ٤٨٩٣.
(٨) المصدر السابق ٤/٢٣٢ رقم ٤٨٩٥.

نفسه عليه[1].

- وقال أبو روح حاتم بن يوسف: أتيتُ باب الفضيل بن عياض فسلمتُ عليه فقلت: يا أبا علي معي خمسةُ أحاديث إن رأيتَ أن تأذنَ لي فأقرأ عليك؟

فقال لي: اقرأ.

فقرأت، فإذا هو سنة، فقال لي: أف! قم يا بني، تعلَّمِ الصدق ثم اكتب الحديث[2]!

ويقول الفيلسوف الفرنسي «مَنْتِين»: إننا إذا تدبَّرْنا ألفينا أن قولنا فلانٌ يكذب، يعادلُ قولنا إنه جريءٌ على الله، جبانٌ أمام الناس[3]!

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٢٣٢ رقم ٤٨٩٧.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٢٣٤ رقم ٤٩١١.

(٣) فلسفة الكذب ص ٢٥ ـ ٢٦.

صوره ومظاهره

ومن مظاهر الكذب المنتشرة بين الناس:

ـ **الكذب على الله ورسوله ﷺ**، كحال من يُفتي بغير علم، ويقول على الله ورسوله الكذب، ويُضِل، ويَهلِك، ويُهلِك.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[1].

وكحالِ من يكذب على رسول الله ﷺ، فتجد من يكذب عليه، للترغيب والترهيب، أو لترويج بدعة، أو ضلالة، أو غير ذلك.

قال ﷺ في الحديث المتواتر: «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار**».

ـ **النفاق**: وهو أن يُظهر المرءُ خلافَ ما يُبطن.

ـ **المبالغة في النقل وزخرفة القول** بما يُلقي في روع السامع خلافَ الحقيقة.

خُلْفُ الوعد، وهو من الكذب العملي.

ـ ومن أشنعِ صور الكذب **شهادةُ الزور**.

---

(١) سورة النحل، الآية ١١٦.

- الافتراء، وهو اختراعُ قصة لا أصلَ لها.

- الكذبُ في البيعِ والشراء، كحالِ من يُنفق سلعته بالأيمان الكاذبة، ومن يغشُّ المشتري بجودة بضاعته، فما أكثرَ ما يقعُ هذا بين الناس، مع عظم خطورته وشدةِ الوعيد فيه.

- الكذب لإفساد البين، فبعض الناس لا يهدأ له بال، ولا يقرُّ له قرار، حتى يُفسد ذات البين، ويفرّق شملَ المتحابين، فتراه يختلق الأقاويل، وينسجُ الأباطيل تلو الأباطيل، ليفسدَ بذلك ذات البين، ويحلّ محلّها القطيعة والبَيْن.

وهذا العمل بليّةٌ عظيمة، لا يقوم به إلا دنيء النفس حقيرها، فكم انفصلت به الروابط الأخوية، وتقطّعتْ به صلةُ الأرحام - وإصلاحه عزيز، والحيلةُ معه قليلة...

- الكذبُ لإضحاك السامعين وتشويقهم، فتجد من يكذب في مجالس الناس، فيستظرفه الناس، ويستطرفوا حديثه ويستعذبوه، فيأتي بالعجائب والغرائب، ويسوق ما لا يخطر ببال.

- الافتخار والادعاء مما هو ملتقى أنواع الرذيلة ومنبع كثيرٍ من الشرور الأخلاقية. فهناك من يكذب ليفاخر أقرانه، ويُظهر فضلَهُ عليهم، فتراه يدّعي العلم، ويُظهر الفضل. ويتشدّق بكثرة الأعمال والإحسان إلى الناس، وهو عاطلٌ عن ذلك كلّه. فلا فضلَ لديه، ولا علم عنده، ولا إحسانَ يصدرُ منه، وإنما يكذبُ في ذلك كله، ليُظهرَ فضله، ويفاخر أقرانه.

ومن ذلك ما تفعله بعضُ النساء أو الضّرائر في الافتخار بما ليس عندهن.

روت أسماء رضي الله عنها أن امرأةً قالت: يا رسول الله، إن لي ضرّةً فهل عليّ جُناحٌ أن تشبّعتُ من زوجي غيرَ الذي يعطيني؟

فقال النبيُّ ﷺ: **«المتشبّعُ بما لم يُعطَ كلابسِ ثوبَيْ زُور»** متفق عليه.

والمتشبِّع: هو الذي يُظهر الشِّبَع وليس بشبعان.

ومعناه هنا: أنه يُظهرُ أنه حصلَ له فضيلةٌ وليست حاصلة.

ولابس ثوبَيْ زور: أي ذو زور، وهو الذي يزوِّرُ على الناس، بأن يتزيّا بزيِّ أهلِ الزهدِ أو العلم أو الثروة ليغترَّ به الناس وليس هو بتلك الصفة...

ـ **الكذبُ على المخالفين**، تشفِّياً منهم ونكايةً بهم. فهناك من إذا خالفه أحد، أو كان بينه وبين أحد عداوة، بدأ يبحث عما يشفي غليله من هذا المخالفِ أو المعادي، فتراه يكذبُ عليه ويُلصق التُّهمَ به، ويُغري به عند أصحاب المناصب وأرباب الولايات، رغبةً في إلحاقِ الأذى به!

ـ **الكذبُ المقرونُ بالحسد**، فهناك من إذا رأى أحداً من الناس متفوقاً في العلم، أو مترقياً في الفضائل، أو غير ذلك، يحسدُه، فيقلِّلُ من شأنه، ويرميه بكلِّ نقيصة، ويتهمه بما ليس فيه، حتى يصرفَ الناس عنه، ويشكِّكهم في إخلاصه وصدقه وجدارته.

ـ **الكذبُ في المطالبات والخصومات** وهذا ما يُشاهدُ مراراً عند الخصومات في المحاكم، وعند حوادث السيارات، وغيرها، فقلَّ أن تجدَ من يُنصف نفسه ويقرُّ بخطيئة، بل تجدُ من يكذب، كي لا يكون الحقُّ عليه، فيتحمَّلُ تبعته.

ـ **الكذبُ للتخلُّص من المواقف المحرجة**، كحالِ من يكذب على والديه أو مدرِّسيه، أو مسؤوليه، خوفاً من العقاب أو العتاب.

ـ **الاقتصار على بعض الحقيقة**، كحالِ من يحذف من الكلام ما لا يروقه ولا يوافق هواه.

وما أشبه هذا الصنف من الكذابين بمن يستشهدون من القرآن الكريم بآيات مبتورة يفسدُ بالبتر معناه.

ـ **الكذب على النفس!** كمن يحاول أن يقنع نفسه بأنه بذل ما في

وسعه، واستنفدَ ما في طاقته لأداء ما يجب عليه، ليسلم من عقاب النفس وتوبيخها، وهو في الحقيقة لم يفعل شيئاً من ذلك.

- **الكذب لتسويغ الأخطاء**. وما أكثر ما يقع ذلك، فهذا يكذبُ ليسوِّغَ بخله، وهذا يكذِبُ ليسوِّغ قسوته، وهذا يكذبُ ليسوِّغ تقصيره أو إساءته... وهكذا.

- **الكذب لاستدرار العطف، أو كسب المؤيدين**. مثل من يكذب عند التسوُّل، فتراه يُظهر الفقر والفاقة، ويوهم بأن الديون قد ركبته، ولم يعد له طاقة في سدادها، أو يزعمُ أنه مريض، أو يقوم على رعاية مريض، وربما حمل معه صكاً يوهم أنه معسر ومحتاج إلى مساعدة.

ومثل من يكذب لكسب المؤيدين، أو لترويج فكرة يدعو إليها.

- **الملَق**، وهو التزلُّف إلى الغير بكيلِ المدح له من غير استحقاقه إياه. ويكونُ هذا التملُّق عادة لأرباب الثراء وأصحاب المناصب، لينال عندهم مالاً أو حظوةً أو جاهاً.

- **نقلُ الأخبار الكاذبة**، وهو الذي ينقل الأخبار الكاذبة مع علمه بكذبها. فمن كان هذا دأبه فهو كذاب، ومشارك للكذاب في الإثم.

- **الكذب السياسي**: الذي يقوم على القاعدة الميكافيلية التي تقول: «الغاية تبرِّر الوسيلة» أو «الغاية تسوِّغ الواسطة». وهذه القاعدة الفاجرة يأخذ بها غالبية السياسيين. ومن الأمثلة على ذلك ما نراه من حال من يتقدمون لترشيح أنفسهم لرئاسة دولة من الدول، فترى الواحد من هؤلاء يسعى لكسب المؤيدين واستقطاب الأصوات؛ ليفوز بالانتخابات ويتربَّع على كرسيِّ الحكم. وتراه يسلك في سبيل ذلك ألواناً من الزيف والكذب والخداع، وتخدير الشعوب بالأماني الباطلة والوعود المعسولة الكاذبة. وما إن يستولي على الحكم حتى يتنكر لما أبداه، فيستبدُّ بالثروات، ويتلاعب بالمقدَّرات، ويسومُ الشعوب سوء العذاب!

ـ **التحفظ والتعمية**... وهي صفة «لازمة» لسفراء الدول ومندوبيها السياسيين!

ـ **الدجل الإعلامي**، الذي يقلِّب الحقائق، ويلبِّسُ على الناس، فيرفعُ الأقزام، ويضعُ الأعلام، ويُغري بالرذيلة، ويزري بالفضيلة. فيا للّهِ كم أفسد من عقول، وكم قلَّب من حقائق، وكم برَّأ من مفسد مجرم، وكم نال من مصلح بريء!

ـ **الشائعات**.... وهي أنواع، وذات دوافع وأهداف.

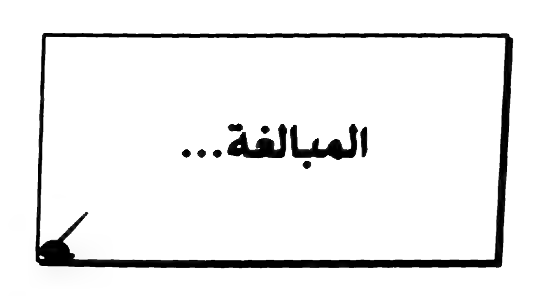
ـ **التوسع في باب المصلحة**، فمن الناس من يتوسعُ في باب المصلحة، فتجده يتأول لنفسه الكذب باسم المصلحة، فيُبطل الحق، ويحقُّ الباطل، ويبرىء المتهم، ويتهم البريء، زعماً منه أنه يُحسن صنعاً، وأنه لم يكسب إثماً، وأنه يطلب المصلحة، ويدفع المفسدة.

ولا شك أن الذي يُصلح بين الناس ويقول الخير ليس بكذاب، أما من يتوسعُ في باب المصلحة ويرخِّص لنفسه الكذب فيما لا مصلحة تحته، أو فيما هو ضررٌ على الآخرين، فلا شك أنه وقع في المحذور، شعرَ أو لم يشعر[١].

ـ **الكذب في البحوث العلمية**.... يأتي في آخر هذا الفصل.

---

(١) الكذب: مظاهره ـ علاجه ص ١١ ـ ٢٠، فلسفة الكذب ص ١٩ ـ ٢٣، رياض الصالحين ص ٦٨٨.



المبالغة...

ذكرنا أن المبالغة هي إحدى صور الكذب.. ونظراً لانتشار هذه الصفة بين فئات عديدة من المجتمع نزيد الأمر إيضاحاً هنا.

يقول الإمام الغزالي: من الكذب الذي لا يوجبُ الفسق ما جرت به العادةُ في المبالغة، كقوله: طلبتُكَ كذا وكذا مرة، وقلت لك كذا مائة مرة. فإنه لا يريدُ به تفهيمَ المرّات بعددها، بل تفيهمَ المبالغة، فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً، وإن كان طلبه مرات لا يعتادُ مثلُها في الكثرة، لا يأثم، وإن لم تبلغ مائة. وبينهما درجاتٌ يتعرّضُ مطلقُ اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب[1].

قلت: ومثل هذه المبالغة كثيرة عند الدلاّلين والعطارين والخضريين.. وغيرهم من التجار.

يقول الفقيه الجليل أبو حامد المقدسي - من فقهاء الشافعية -: ينبغي على الخضري أن لا يتغالى في مدح سلعته ويسمي الأشياء بغير مسمياتها كذباً، كأن يقول في القثّاء (أطول من الخيار): يالوبيا - ويا فستق. وفي الجمّيز (نوع من شجر التين): يا كُنافة، ويا عسل، ويا أحلى من التين[2].

كما أن المديح لا يخلو من مبالغة.. وقد قال رسول الله ﷺ:

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/٢٠٧.

(٢) بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية ١/٣١٧.

«إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب»[1].

قال الحافظ البيهقي: وذلك لأن الأغلب أنهم يكذبون، فيغرُّون الممدوح، فإذا حُثي الترابُ في وجه المادح فقد أمن أن يغتروا، وآيسَ المادح من أن يغرّه[2].

وقال المناوي في شرح الحديث: يعني لا تعطوهم على المدح شيئاً، فـ«احثوا» كناية عن الرد والحرمان. أو: اعطوهم ما طلبوا، فإن كلَّ ما فوق التراب تراب. ومن حمله على ظاهره ورماهم بالتراب فما أصاب.

وقال الإمام الغزالي: في المدح ستُّ آفات: أربع على المادح، واثنتان على الممدوح.

أما المادح: فقد يُفرِطُ فيه فيذكره بما ليس فيه فيكون كذاباً، وقد يُظهِرُ فيه من الحب ما لا يعتقده فيكون منافقاً، وقد يقول له ما لا يتحققه فيكون مجازفاً، وقد يفرح الممدوح به وربما كان ظالماً فيعصي بإدخال السرور عليه.

وأما الممدوح فيُحدثُ فيه كبراً وإعجاباً، وقد يفرح فيفسد العمل[3].

ولذلك يقول الإمام الأوزاعي: إذا أثنى رجلٌ على رجلٍ في وجهه فليقل: اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي من الناس، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون[4].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيفَ منه فتنة على الممدوح ٨/ ٢٢٨.

(٢) شعب الإيمان ٤/ ٢٢٥.

(٣) حاشية الأنقروي على صحيح مسلم ٨/ ٢٢٨.

(٤) شعب الإيمان ٤/ ٢٢٧ رقم ٤٨٧٥.

وتلا الإمام الحسن البصري قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[1] فقال: هي والله لكلِّ واصفٍ كذباً إلى يوم القيامة[2].

قال شيخ: من أظهر شكرك بما لم تأته إليه، فاحذر أن يكفرَ نعمتك فيما أتيتَ إليه[3]!

أما مبالغات الشعراء فحدِّث عنها ولا حرج!

وأبرز من يستشهد بشعره في هذا العصر، ويشاد بعبقريته وشاعريته الباهرة هو المتنبي، الذي خرج على كثيرٍ من القيم الإسلامية، وخاصة في مدحِه وهجائه الذي صار يتكسَّب به، وكانت مهنته على امتداد عمره.. وإن ما عُرف بهجائه لكافور هو نفسه مادحه بقوله:

ولك الناسُ والبلادُ وما يسـ ... ـرحُ بين الغبراء والخضراء

أي: كل ما بين السماء والأرض ملك لكافوره العظيم!

ويكرر هذا المعنى حينما يمدح الحسين بن إسحاق:

أأنطق فيك هجراً بعد علمي ... بأنك خيرُ مَن تحت السماء!

حتى ذكر ناقد مشهور أن المتنبي يصحُّ فيه حقاً قول الشاعر حامد حسن:

يهجو ويمدح كاذباً فكأنه ... إن قال أُقسمُ ـ صادقاً ـ أن يكذبا[4]!

وصدق قولُ العليم الحكيم في الشعراء: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٨.

(٢) شعب الإيمان ٤/٢٣٤ رقم ٤٩٠٧.

(٣) المصدر السابق ٤/٢١١ رقم ٤٨٢٥.

(٤) أوردته في كتابي الكشكول اللطيف بأوسع من هذا، رقم الفقرة (٤٠١).

﴿يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾[1].

قال ابن عباس في تفسيرها: أكثرُ قولهم يكذبون فيه!

قال الحافظ ابن كثير: وهذا الذي قاله ابنُ عباس رضي الله عنهما هو الواقع في نفس الأمر، فإن الشعراء يتبجَّحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم، فيتكثَّرون بما ليس لهم. ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما إذا اعترفَ الشاعرُ في شعره بما يوجبُ حدّاً هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا؟ لأنهم ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، على قولين.

وقد عزل عمرُ بن الخطاب النعمانَ بن عدي (أميرَ ميسان من أرض البصرة) لشعرٍ من هذا القبيل، فلما قدم على عمر قال: والله يا أمير المؤمنين، ما شربتها قط، وما ذاك الشعرُ إلا شيءٌ طفحَ على لساني!

فقال عمر: أظنُّ ذلك، ولكن والله لا تعملُ لي عملاً أبداً وقد قلتَ ما قلت!

ويستثنى من ذلك ما أورده سبحانه وتعالى في الآية التالية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾.

قال ابنُ كثير: هذا الاستثناء يدخلُ فيه شعراء الأنصار وغيرهم، حتى يدخلُ فيه من كان متلبساً من شعراء الجاهلية بذمِّ الإسلام وأهله، ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً في مقابلة ما تقدَّم من الكلام السيء، فإن الحسنات يذهبن السيئات، وامتدحَ الإسلامَ وأهلَهُ في مقابلةِ ما كان يذمُّه[2].

قال الحافظ البيهقي: ومما ينبغي للمرء المسلم أن يحفظَ لسانه

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٥٤.

عن الشعر الذي يكون هجاءً أو فحشاً أو كذباً، أما الشعر الذي لا يكونُ فيه شيء من ذلك فهو كغيره من الكلام، ويستحبُ للمرء أن لا يستكثر منه حتى لا يشغله عما هو أولى به من قراءة القرآن وذكر الله عز وجل[1].

(١) شعب الإيمان ٢٧٦/٤.

الدقَّة.. وتحرّي الصدق

إذا وصلَ المرءُ إلى درجةٍ عالية من الإيمان، راقبَ ما يتلفَّظُ به، وعلم قبل أن يتلفَّظَ أن هناك ملكاً رقيباً موكّلاً به، لا يدَعُ له كلاماً أو فعلاً إلا سجَّلَه، فيتحرّى الدقَّة والصدق، ولا يتكلَّمُ إلا بخير. ويخشى من أدقِّ الأمور، ويَدَعُ اللَّغْوَ والحُوشيّ..

قال الإمام الغزالي: وممّا يُعتادُ الكذبُ فيه ويُتساهلُ به أن يُقال: كلِ الطعام، فيقول: لا أشتهيه؛ وذلك منهيٌّ عنه، وهو حرام! وإن لم يكن فيه غرضٌ صحيح.

قال مجاهد: قالت أسماء بنت عميس ـ زوجة جعفر بن أبي طالب ـ: كنتُ صاحبةَ عائشة في الليلة التي هيّأتُها وأدخلتُها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة، قالت: فوالله ما وجدنا عنده قِرى[1] إلا قدحاً من لبن، فشربَ، ثم ناوله عائشة، قالت: فاستحيت الجارية، فقلت: لا تردِّي يدَ رسول الله ﷺ خذي منه. قالت: فأخذتْ منه على حياء فشربتْ منه. ثم قال: **«ناولي صواحبك»** فقلنَ: لا نشتهيه. فقال: **«لا تجمعنَ جوعاً وكذباً»**. قالت: فقلت: يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيءٍ تشتهيه لا أشتهيه، أيُعَدُّ ذلك كذباً؟

قال: **«إن الكذبَ ليكتبُ كذباً، حتى تُكتب الكُذيبة كذيبة»**[2].

---

(١) القرى: ما يكرمُ به الضيف أو يقدَّم له من طعام أو شراب.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، والطبراني في الكبير، وله نحوه من=

وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب.

جاءت أختُ الربيع بن خثيم تزور ابناً له، فانكبّت عليه فقالت: كيف أنت يا بني؟

فجلس الربيع وقال: أرضعتيه؟

قالت: لا.

قال: ما عليكِ لو قلتِ يا ابن أخي، فصدقت[1]؟

ودخل الإمام المحدِّث، التابعي الجليل هشام بن عروة على الخليفة المنصور، فقال له المنصور: يا أبا المنذر، أتذكُر حيث دخلتُ عليك أنا وأخي مع أبي الخلائف، وأنت تشربُ سويقاً بقصبة يراعٍ، فلما خرجنا من عندك قال أبي: استوصوا بالشيخ خيراً واعرفوا حقَّه، فلا يزالُ في قومكم بقيّة ما بقي؟

قال: ما أثبتُ ذاك يا أمير المؤمنين!

فلامه بعضُ أهله وقالوا: يذكُرك أميرُ المؤمنين ما يمتُّ به إليك وتقولُ له: لا أذكره؟

فقال: لم أذكره، ولم يعوّدني الله في الصدق إلا خيراً[2].

= رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب.. المغني عن حمل الأسفار ٣/٢٠٧.

(١) إحياء علوم الدين ٣/٢٠٧.

(٢) المحاسن والمساوىء ٢/٦٤.

التشبُّه.. والتقليد الأعمى

ولا يخلو التشبُّه من مظهر كاذب، بل هو من الكذب العملي التي تترتب عليه أحكام، وما كذبة نيسان إلا من قبيل التشبُّه بالكفار، وهي من التقاليد السيئة التي يتبادرُ إليها الناس، بل منهم من ينتظرونها على أحرِّ من الجمر، ويخططون لها الأيام والليالي!

وأسفي على مجتمع يوجد فيه أمثالُ هؤلاء، الذين يتسابقون إلى ما فيه فساد اجتماعي وأخلاقي، ويتباطؤون في عمل ما هو رفعةٌ وحضارة وخير. . .

إن حضارة الغرب تدلُّ على تفكيرهم ومنهجهم في الحياة، وعلى الحياة العقدية العلمانية التي يعيشونها حتى آذانهم، ولو ذهبتُ أعدِّدُ إفرازات حضارتهم التي لا تليق بالإنسان ـ فضلاً عن الملتزم بالإسلام ـ لخرج بنا الكتاب عن مقصده! وكان آخر ما قرأته ـ عند إعداد هذا الكتاب ـ أن امرأةً تزوَّجت من كلبٍ بقرانٍ «شرعي»، ولبست ثياب الزفاف، وحضر عقد الزواج وحفله قسّ!

فهل بيننا من يحبِّذُ هذا ويتبادرُ إليه؟

وفي أوروبا اختراع غريب يدلُّ على ذوق فاسد. . إنه «علبة الشتائم» وهي عبارة عن جهاز تسجيل صغير يستعملُ كعلاقة مفاتيح أحياناً، ويبدأ عند الضغط عليه بإطلاق الشتائم عبر مكبِّر صوت صغير. . تنطق بالإنجليزية والفرنسية. . وسعرها بين ١٥ ـ ٣٠

دولارا[1]!

فهل يُقَلِّدون في مثل هذا وغيره، مما لا يليق بشخصية المسلم، بل ويتناقض مع مبادىء عقيدته وسلوكه المطلوب؟ وما الحكم في ذلك؟

لقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن اتباع سبيل المغضوب عليهم والضالين، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾[2].

وقال ﷺ: «من تشبَّه بقومٍ فهو منهم»[3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»[4].

وغير ذلك من الأدلة التي تحثنا على مخالفتهم.

(١) أوردت الخبر بالتفصيل في الكشكول اللطيف رقم ٢٣٣.

(٢) سورة الجاثية، الآية ١٨.

(٣) رواه أحمد في المسند ٢/ ٥٠، ٩٢.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب ما جاء في النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر ٦/١٤٤..

متى يُباح الكذب؟

أباحت بعض الشرائع والعرف بعض أنواع الكذب، مشترطة في ذلك شروطاً قاسية حكيمة، حتى لا يمتدَّ شررُ الكذب عن الدائرة المباحة إلى الدائرة المحظورة.

وفي الإسلام ما يسمى: بـ«الكذب المباح»، ويسميه الإنجليز «الكذب الأبيض» ويسميه الألمان «الكذب الاضطراري»، أو «الكذب الرسمي»!

ويقول المثلُ الإنجليزي: «لا ضيرَ في كذبةٍ توصلُ إلى الحق»!

على أن لفقهاء القانون آراء خلافية في التقدير القانوني للاعتراف الذي يحصلُ عليه المحقِّق بمثل هذه الوسيلة[1].

وفي بيان ما يجوز من الكذب في الإسلام لخَّصه الإمام النووي بقوله:

اعلم أن الكذبَ وإن كان أصلهُ محرَّماً فيجوزُ في بعض الأحوال... والكلام وسيلةٌ إلى المقاصد، فكلُّ مقصودٍ محمودٍ يمكنُ تحصيلهُ بغيرِ الكذبِ يحرمُ الكذبُ فيه، وإن لم يمكن تحصيلهُ إلا بالكذب جازَ الكذب.

ثم إن كان تحصيلُ ذلك المقصودِ مباحاً كان الكذبُ مباحاً، وإن

(١) فلسفة الكذب ص ٥٠ ـ ٥٢.

كان واجباً كان الكذبُ واجباً!

فإذا اختفى مسلمٌ من ظالم يريدُ قَتْلَهُ أو أخذَ مالهِ وأخفى مالَهُ، وسُئِل إنسانٌ عنه وجب الكذبُ بإخفائه.

وكذا لو كان عنده وديعةٌ وأرادَ ظالمٌ أخذها وجبَ الكذبُ بإخفائها.

والأحوطُ في هذا كلِّه أن يورِّي، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظِ وبالنسبةِ إلى ما يفهمه المخاطَب، ولو تركَ التوريةَ وأطلقَ عبارةَ الكذبِ فليس بحرامٍ في هذا الحال.

واستدلَّ العلماءُ بجوازِ الكذبِ في هذا الحال بحديث أمِّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها ـ وكانت من المهاجرات الأُول اللاتي بايعن النبي ﷺ ـ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ليس الكذّابُ الذي يُصلح بين الناس فيَنْمي[1] خيراً أو يقول خيراً» متفق عليه.

زاد مسلمٌ في رواية: قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يرخِّصُ في شيءٍ مما يقولُ الناسُ إلا في ثلاث: **تعني الحرب، والإصلاحَ بين الناس، وحديثَ الرجلِ إلى امرأته، وحديثَ المرأةِ زوجَها**[2].

قال ميمون بن مهران: الكذبُ في بعضِ المواطنِ خيرٌ من الصدق، أرأيتَ لو أن رجلاً سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله، فدخل داراً فانتهى إليك، فقال: أرأيتَ فلاناً؟ ما كنتَ قائلاً؟ ألستَ تقول: لم أره؟

---

(١) أي يبلغ.

(٢) رياض الصالحين ص ٦٨٦ ـ ٦٨٧، صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٥٧ ـ ١٥٨.

قال الإمام الغزالي: وهذا الكذب واجب[1].

وقال: هذه الثلاثُ وردَ فيها صريحُ الاستثناء، وفي معناها ما عداها إذا ارتبطَ به مقصود صحيح له أو لغيره.

أمّا مالُه: فمثلُ أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله، فله أن يُنكر.

أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشةٍ بينه وبين الله تعالى ارتكبها، فله أن يُنكر ذلك، فيقول: ما زنيت، وما سرقت. وقال ﷺ:

«من ارتكبَ شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله»[2].

وذلك أن إظهارَ الفاحشةِ فاحشةٌ أخرى، فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلماً، وعرضه بلسانه وإن كان كاذباً.

وأما عرضُ أخيه فبأن يسأله عن سرِّ أخيه فله أن يُنكره.

وأن يُصلح بين اثنين.

وأن يُصلح بين الضرّات من نسائه: بأن يُظهر لكلِّ واحدةٍ أنها أحبُّ إليه، وإن كانت امرأته لا تُطاوعه إلا بوعد لا يقدرُ عليه فيعدُها في الحال تطييباً لقلبها.

أو يعتذرُ إلى إنسان وكان لا يطيبُ قلبه إلا بإنكارِ ذنبٍ وزيادةِ تودُّدٍ فلا بأس به.

ولكن الحدُّ فيه أن الكذب محذور، ولو صدق في هذه المواضع تولّد منه محذور!

فينبغي أن يُقابلَ أحدهما بالآخر، ويزنَ بالميزان القسط، فإذا علم أن المحذور الذي يحصلُ بالصدق أشدُّ وقعاً في الشرع من الكذب فله

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٠٢.

(٢) أخرجه الحاكم عن عمر بلفظ: «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألمَّ بشيءٍ منها فليستتر بستر الله». وإسناده حسن. المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٢٠٤.

الكذب، وإن كان ذلك المقصودُ أهونَ من مقصودِ الصدقِ فيجب الصدق.

وقد يتقابلُ الأمران بحيث يتردَّدُ فيهما، وعند ذلك الميلُ إلى الصدقِ أولى، لأن الكذبَ يُباح لضرورة أو حاجة مهمة، فإن شكَّ في كونِ الحاجة مهمةً فالأصلُ التحريم، فيرجع إليه.

ولأجلِ غموضِ إدراكِ مراتب المقاصد فينبغي أن يحترز الإنسانُ من الكذب ما أمكنه.

وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحبُّ له أن يترك أغراضه ويهجرَ الكذب، فأما إذا تعلَّقَ بغرضِ غيره فلا تجوزُ المسامحةُ لحقّ الغير والإضرار به.

وقال مشدِّداً مرة أخرى رحمه الله:

وكلُّ من أتى بكذبةٍ فقد وقع في خطرِ الاجتهاد ليعلمَ أن المقصودَ الذي كذب لأجله هل هو أهمُّ في الشرع من الصدق أم لا؟ وذلك غامضٌ جداً، والحزمُ تركُه، إلاّ أن يصير واجباً بحيث لا يجوزُ تركه، كما لو أدّى إلى سفكِ دم، أو ارتكاب معصيةٍ كيف كان[١].

وقال رحمه الله منبِّهاً ومحذِّراً:

ينبغي أنْ يحترز من الكذب المباح ما أمكن، لأنه إذا فتح بابَ الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغني عنه، وإلى ما لا يقتصرُ على حدِّ الضرورة، فيكون الكذبُ حراماً في الأصل إلا لضرورة[٢].

وقد حمل بعضُ العلماء الكذبَ في الحديثِ على التورية والتعريض، كمن يقولُ للظالم: دعوتُ لك أمس، وهو يريدُ قوله:

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٢٠٢.

اللهم اغفر للمسلمين. ويَعِدُ امرأته بعطيّةِ شيءٍ ويريد إن قدَّر الله ذلك وأن يُظهر من نفسه قوة.

كما اتفق العلماء على أن المراد بالكذب في حق المرأة والرجل إنما هو فيما لا يُسقطُ حقاً عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها، وكذا في الحرب في غير التأمين...

ولقد ذكر بعضُ العلماء أن الكذب جائز في الأمور الثلاثة السابقة لأن الجيشَ حصنُ الأمة، ولأن الشقاق رأسُ كلِّ مصيبة، ولأن النزاعَ بين الزوجين يعرِّضُ الأسرةَ للضياع، وهي أساس المجتمع. والله أعلم[1].

ومن الفقهاء من قسم الكذب على أقسام حكم الشرع الخمسة، والأصل فيه التحريم:

القسم الأول: المحرم، وهو ما لا نفع فيه شرعاً.

الثاني: المكروه، وهو ما كان لجبرِ خاطرِ الوالد أو خاطر الزوجة.

الثالث: المندوب، وهو ما كان لإرهاب أعداء الدين في الجهاد، كأن يخبرهم بكثرةِ عدد المسلمين وعُدَدهم.

الرابع: الواجب، كتخليص مسلم أو ماله من هلاك.

الخامس: المباح، وهو ما كان للإصلاح بين الناس.

وقد قيل بقبحه مطلقاً لما ورد في أهله من الذمِّ في كتاب الله العزيز[2].

---

(١) نشرة الجامعة السلفية (رجب ١٤٠٧هـ) ص ١٨ ـ ١٩، صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٨/١٦، حاشية الأنقروي على صحيح مسلم ٢٨/٨.

(٢) الكذب ص ٩.

بين المزاح والكذب

لعلَّ الذي يكذب في أول نيسان يقول إني كنت أمزح!

وفرقٌ بين المزحِ والكذب.

والكذبُ لا يكونُ مزاحاً، كما نُهي عن المزاح بالكذب.

ويكفي المؤمنَ حديثٌ من رسول الله ﷺ ليلتزم، فيقول صلوات الله وسلامه عليه:

«ويلٌ للذي يحدِّثُ بالحديثِ ليُضحِكَ به القومَ فيَكْذِب، ويلٌ له، ويلٌ له». رواه الترمذي وقال: حديث حسن[1].

وقوله ﷺ: **«إن الرجلَ ليتكلمُ بالكلمة يُضحِكُ بها جلساءَهُ يهوي بها مِنْ أبعدَ من الثريا»**[2].

وقوله عليه الصلاة والسلام:

«إن الرجل ليتكلَّمُ بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه[3].

وهذا ترغيب من رسول الله ﷺ لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً:

---

(١) كتاب الزهد، باب فيمن تكلَّم بكلمة يُضحك بها الناس ٤/ ٥٥٧ رقم ٢٣١٥.

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/ ٤٠٢.

(٣) المصدر السابق من الترمذي ٤/ ٥٥٧ رقم ٢٣١٤.

«أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربضِ[1] الجنة لمن ترك المراءَ وإن كان محقّاً، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذبَ وإن كان مازحاً، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حسنَ خُلقه»[2].

وروي عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، قال أحدهما: لا يبلغُ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتى يدعَ المراءَ وهو محقّ، وحتى يدعَ الكذبَ في الممازحة ولو شاء لغلب.

وقال الآخر: لا يذوقُ عبدٌ حقيقة الإيمان حتى يدعَ الكذبَ في المزاح، وحتى يدعَ المراءَ وهو محقٌّ يعلمُ أنه فيه صادق.

وقال عمر رضي الله عنه: من كثر مزاحه استخفَّ به!

وقال جعفر بن محمد: إيّاكم والمزاح، فإنه يُذهب بهاءَ الرجل ويطفىءُ نورَه[3]!

وقال عمر رضي الله عنه: أتدرون لِمَ سُمِّي المزاحُ مزاحاً؟ قالوا: لا. قال: لأنه أزاحَ صاحبَهُ عن الحق!

وقيل: لكلِّ شيءٍ بذور، وبذور العداوةِ المزاح.

ويقال: المزاحُ مسلبةٌ للنهي، مقطعةٌ للأصدقاء[4].

والمزاحُ هو الدعابة، وهو الملاطفة، ومعناه الانبساط في القول مع الغير على جهةِ التلطُّف والاستعطاف، لا بإيذاء، وفرقٌ بينه وبين السخرية والاستهزاء.

والقلوبُ تملُّ كما تملُّ الأبدان، ولهذا فالمزاح الصادق المشروع

---

(١) الربض: وسط الشيء.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب حسن الخلق، وتنظر السلسلة الصحيحة رقم ٢٧٣.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ٤/٣١٧ ـ ٣١٨.

(٤) إحياء علوم الدين ٣/١٩١.

فيه تطييبٌ لقلبِ الغير، وتوثيقٌ للمحبّةِ والأُلفة والصِّلات، وتجديدٌ للنشاط والجدِّ والمثابرة. وقد ثبتَ المزاحُ من رسول الله ﷺ في صور... ولذا ذكر الأئمة أن التّنزه عنه بالمرّةِ والتقبُّضَ مُخلٌّ بالسنَّة والسيرة النبوية المأمور باتباعها والاقتداء بها.

ومما ينبغي أن يُعلم أن المزاحَ يجبُ أن يكون بصدق، وأما الكذبُ فيه فقد جاء الوعيد بشأنه كما سبق، والرسولُ ﷺ ما كان يمزحُ إلا صادقاً، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

«إني لأمزحُ ولا أقول إلا حقّاً»[1].

وإذا مزحَ المرءُ فلا يجرحُ دِيْنَه، بل يمزحُ بغيرِ معصية، ولا يُكثر منه، لأنه مخلٌّ بالمروءة[2].

وقال الإمام الغزالي في المزاح:

أصله مذموم منهيٌّ عنه إلا قدراً يسيراً يستثنى منه.

فالإفراطُ فيه والمداومةُ عليه منهيٌّ عنه.

أما المداومةُ فلأنه اشتغالٌ باللعبِ والهزلِ فيه، واللعبُ مباح، ولكن المواظبةَ عليه مذمومة.

وأما الإفراطُ فيه فإنه يورثُ كثرةَ الضحك، وكثرةُ الضحك تُميت القلب، وتورثُ الضغينة في بعض الأحوال، وتُسقط المهابة والوقار.

فما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كثر ضحكه قلَّتْ هيبتُه، ومن مزحَ استخفَّ به، ومن أكثر من شيءٍ عُرف به، ومن كثُرَ كلامه كثر سَقطُه، ومن كثُرَ سقطهُ قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه!

---

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن، كما في مجمع الزوائد ٨/ ٨٩.

(٢) نشرة الجامعة السلفية (رجب ١٤٠٧هـ) ص ٢٤ ـ ٣٣ (باختصار).

ولأن الضحك يدلُّ على الغفلة عن الآخرة، قال عليه الصلاة والسلام:

«والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[1].

والمذمومُ من الضحكِ أن يستغرق ضحكاً، والمحمودُ منه التبسُّم الذي ينكشفُ فيه السنُّ ولا يسمعُ له صوت. وكذلك كان ضحكُ رسولِ الله ﷺ.

فإن قلت: قد نُقلَ المزاحُ عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فكيف يُنهى عنه؟

أجاب الإمامُ الغزالي قائلاً: إن قدرتَ على ما قدر عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابه، وهو أن تمزحَ ولا تقولَ إلا حقّاً، ولا تؤذِ قلباً، ولا تفرِّط فيه، وتقتصر عليه أحياناً على الندور، فلا حرجَ عليك فيه، ولكن من الغلطِ العظيمِ أن يتخذَ الإنسانُ المزاح حرفةً يواظبُ عليه، ويُفْرِطُ فيه، ثم يتمسَّكُ بفعلِ الرسول ﷺ.

ثم ذكر رحمه الله أن أكثر مطايبات الرسول ﷺ منقولةٌ مع النساء والصبيان، وكان ذلك منه ﷺ معالجةً لضعفِ قلوبهم من غيرِ ميلٍ إلى هزل[2].

وتُلخَّصُ مفاسدُ كثرةِ الضحكِ بما يلي:

- يشغل عن ذكر الله عز وجل.
- يشغل عن مهمات الدين والتفكر فيها.
- يؤدي إلى قسوة القلب.
- يؤدي إلى الحقد.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف ٢/ ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ١٩٠ ـ ١٩٣ باختصار.

ـ يؤدي إلى سقوط المهابة والوقار.

ـ عدم الثقة بالمتكلِّم، حيث لا يميِّزُ السامعُ بين صراحة المتكلِّم وتوريته.

وبالجملة فما سلمَ من الأمور السابقة وكان بصدقٍ فهو المباح، وقد يستحبُ أحياناً، لا أن يتخذَ حرفة وديدناً. ورحم الله من قال:

أفدْ طبعك المكرود بالجدِّ راحةً ... بجدٍّ وعلِّلْهُ بشيءٍ من المزح
ولكن إذا أعطيته المزحَ فليكنْ ... على قدر ما يعطى الطعامُ من الملحِ[1]

---

(١) نشرة الجامعة السلفية (رجب ١٤٠٧هـ) ص ٣٣.

المعاريض

المعاريضُ خلافُ التصريح، وهو التوريةُ بالشيء عن الشيء. وهو كلام له وجهان، يُطْلَقُ أحدهما والمرادُ لازمه. ومما يكثرُ السؤالُ عنه الفرقُ بين التعريض والكناية، وللشيخ تقي الدين السبكي جزءٌ جمعهُ في ذلك[1].

ولعلَّ بعضَ الأحاديث الواردة في مزاح رسول الله ﷺ داخلة في المعاريض. ولكن يجب أن نعلم أن التورية أو المعاريض تُباح لأغراض خفيفة، ولتطييب قلبِ الغيرِ بالمزاح، وأما ما كان فيه ضررٌ يؤدي إلى إيذاء الآخرِ أو ظلمه، أو إحقاقِ باطلٍ أو إبطال حق؛ فهو حرام. وأما إذا ورّى للحصول على حقِّهِ أو الخلاصِ من الظلمِ فجائز[2].

قال الإمام الغزالي: قد نقلَ عن السلف أن في المعاريض مندوحةً عن الكذب[3]، قال عمر رضي الله عنه: أما في المعاريض ما يكفي الرجلَ عن الكذب؟ وروي ذلك عن ابن عباس وغيره. وإنما أرادوا بذلك إذا اضطرَّ الإنسانُ إلى الكذب، فأما إذا لم تكنْ حاجةٌ

---

(١) فتح الباري ٢/ ٢٣٩.

(٢) نشرة الجامعة السلفية (رجب ١٤٠٧هـ) ص ٣٢.

(٣) قلت: وفي صحيح البخاري باب في كتاب الأدب بعنوان: باب المعاريض مندوحة عن الكذب.

وضرورةٌ فلا يجوزُ التعريضُ ولا التصريحُ [يعني بالكذب] جميعاً، ولكن التعريضَ أهون.

ومثالُ التعريضِ ما رُويَ أن مطرّفاً دخلَ على زياد بن أبيه، فاستبطأه، فتعلَّلَ بمرضٍ وقال: ما رفعتُ جنبي مذ فارقتُ الأميرَ إلا ما رفعني الله!

وكان إبراهيم النخعي لا يقولُ لابنته: أشتري لك سكراً، بل يقول: أرأيتِ لو اشتريتُ لك سكراً؟ فإنه ربما لا يتّفق له ذلك.

وهذا كلُّه في موضعِ الحاجة، فأما في غير موضعِ الحاجة فلا، لأن هذا تفهيمٌ للكذب، وإن لم يكن اللفظُ كذباً، فهو مكروه على الجملة.

وقد روى عبد الله بن عتبة قال: دخلتُ مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فخرجتُ وعليّ ثوب، فجعلَ الناسُ يقولون: هذا كساكهُ أمير المؤمنين؟

فكنت أقول: جزى الله أميرَ المؤمنين خيراً.

فقال لي أبي: يا بنيّ اتّقِ الكذبَ وما أشبهه.

فنهاه عن ذلك، لأن فيه تقريراً لهم عن ظنٍّ كاذبٍ لأجلِ غرضِ المفاخرة، وهذا غرضٌ باطلٌ لا فائدة فيه.

فالمعاريض تُباح لغرضٍ خفيف، كتطييب قلب الغير بالمزاح...[1]

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ باختصار.

خطورة الكذب وضرره

الكذبُ أساسُ الفجور!

وأولُ ما يسري الكذبُ من النفسِ إلى اللسان فيُفسده، ثم يسري إلى الجوارحِ فيُفسد عليها أعمالها كما أفسدَ على اللسانِ أقوالَهُ، فيعمُّ الكذبُ أقوالَهُ وأعمالَه وأحوالَه، فيستحكمُ عليه الفساد، ويترامى داؤه إلى الهلكة إن لم يتداركه الله بدواء الصدقِ يقلعُ تلك المادة من أصلها.

ولهذا كان أصلُ أعمالِ القلوبِ كلِّها الصدق، وأضدادُها من الرياء والعُجب والكِبْر والفخر والخيلاء والبَطَر والأشَر والعجز والكسل والجبن والمهانة وغيرها أصلها الكذب. فكلُّ عملٍ صالحٍ ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق، وكلُّ عمل فاسد ظاهر أو باطنٍ فمنشؤه الكذب[1].

ويقول الإمام الماوردي: الكذبُ جماعُ كلِّ شر، وأصلُ كلِّ ذم، لسوء عاقبته، وخبثِ نتائجه، لأنه يُنتج النميمة، والنميمةُ تنتجُ البغضاء، والبغضاءُ تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمنٌ ولا راحة[2].

والكذب يغرس بذور الشر في النفس، ويعوِّدها على الاستخفاف

---

(١) الكذب ص ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٦٢.

بالأمور[1].

والصدقُ ضرورةٌ من ضرورات الحياة الاجتماعية لا تستقيمُ إلا به.

قلّبْ طرفكَ في أيِّ ناحيةٍ من نواحي الحياة تجد الصدق دعامتها التي بدونها تنهار!

فإذا لم يكن التاجرُ صادقاً كسدتْ سوقُه وبارتْ بضاعته.

وإذا لم يكن الصانع صادقاً لم يستخدمه صاحبُ رأس المال.

وإذا لم يكن صاحبُ رأسِ المال صادقاً لم يجدْ عمالاً يعملون عنده.

وإذا لم يكن المعلمُ صادقاً لم يتتلمذ عليه تلميذ، ولم ينقل عنه طالب.

وإذا لم يكن الحاكمُ صادقاً لم يثقْ به المحكومون، ولم تنتظمْ له سلطة.

وإذا لم تكن الرعيَّةُ صادقةً استحالَ على الحاكم أن يأخذَ بشهادة، أو ينظرَ في ظلامة، أو ينصفَ مظلوماً، أو يعاقبَ ظالماً.

وقصارى القولِ أن الصدق إن ذهب من أمّةٍ ذهبتْ معه تلك الأمة وتصدَّعَ بناؤها، لذلك قرن الله الأمرَ بالصدقِ بالأمر بالتقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[2].

فلقد تحيا الأمة وفيها جبناءُ رعاديد، ولقد تبقى الأمة وفيها بخلاء أشحاء، ولكن شمسها تنحدرُ إلى المغيب إذا كان فيها الكذابون المفترون[3].

---

(١) من مقال بعنوان «أبريل وتعويد الكذب» بقلم محمد بن سعد الشويعر في جريدة الجزيرة ع ٤٩٥٠ (٩/ ١٠/ ١٤٠٦هـ).

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٣) فلسفة الكذب ص ٢٤ ـ ٢٥.

إن الكذبَ تنتجُ عنه أخطاء مدمِّرة لكلِّ قيم الفضيلة في المجتمع، سواء في البيت، أو المدرسة، أو الشارع. وتشتدُّ خطورة الكذب حينما تكونُ مرتبطةً بشخصية الكاذب القيادية، أو عندما يكون في موضع ثقة يُقتدى به، مثل الأب والأم والرئيس والمدير(١).

وقد قيل عن «جهاز كاشف الكذب» الكثير، وحذَّر العلماءُ من بعضِ ما قيل فيه من مبالغات.. ومما لوحظَ أن هذا الجهاز يسجِّل أشياء دقيقةً أثناء الكذب، ولو كانت كذبةً صغيرة، حيث وُجد تدفُّقٌ فجائيٌّ لهرموناتٍ عصبيةٍ تصلُ إلى مكانٍ ما في المخ، فصٌّ صغيرٌ في «الدماغ» يُفضي إلى تفريغ فجائي لنبضات عصبية.. والجهدُ العصبي للكاذب يؤدي إلى أسىً أو كرب، وهو كافٍ لأنْ يسبِّبَ انبعاثَ إشاراتٍ جيئةً وذهاباً من الجهاز العصبي المركزي، محذِّراً أن شيئاً سيحدثُ يسيرُ في اتجاهٍ خاطىء، إنه ـ بالمعنى الفسيولوجي ـ عملٌ غيرُ طبيعي.

والجهازُ يدلُّ على أن تكرارَ الكذبِ المتأصِّلِ سوفَ يشقُّ بالتدريجِ الجهازَ العصبي للأوعيةِ الدموية، وغُددَ العرق، والأدريثالين، ومن يدري ما هو الشيء الآخر بعد ذلك؟ ربما ننظرُ إلى إمكانية الكذب على أنها «علم الأمراض»، أو أداةٌ لبعضِ عناصرِ القلق المشترك بين البشر لا تزال وراء التفسير..(٢).

---

(١) جريدة العالم الإسلامي (محرم ١٤١٤هـ) بتصرف قليل.

(٢) كشف الكذب وموضوعات أخرى ص ١٣٣ ـ ١٣٤ باختصار.

عقوبة الكذّاب

قال الله تعالى:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[١].

وفي حديث طويل رواه البخاري، أنه ﷺ قال:

«لكني رأيتُ الليلةَ رجلين أتياني[٢]، فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدّسة، فإذا رجلٌ جالسٌ، ورجلٌ قائمٌ بيده ـ قال بعض أصحابنا عن موسى بن إسماعيل: ـ كَلوبٌ من حديدٍ يُدْخِلُه في شِدْقِهِ، حتى يبلغَ قفاه، ثم يفعلُ بشدقِهِ الآخر مثلَ ذلك، ويلتئمُ شدقهُ هذا، فيعودُ فيصنعُ مثلَهُ.

قلت: ما هذا؟

قالا: انطلق....

... فقلتُ طوّفتماني الليلةَ فأخبراني عما رأيت؟

قالا: نعم، أما الذي رأيتَهُ يشقُّ شِدْقَهُ فكذّابٌ يحدّثُ بالكذبةِ فتُحْمَلُ عنه حتى تبلغَ الآفاق، فيُصنعُ به ما رأيتَ إلى يوم

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٠.

(٢) ورؤيا الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ حق.

القيامة...»[1].

قال الحافظ ابن حجر: يشقُّ شدقهُ وذلك في موضعِ المعصية، وهو فمه الذي كذب به[2].

ومرَّ قوله ﷺ في الصحيح: **«وإن الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار»**.

والحديث السابق بيانٌ لهذا الحديث، كما قال الحافظ العسقلاني[3].

وقال مالك بن دينار رحمه الله: قرأتُ في بعض الكتب: ما من خطيبٍ إلا وتُعْرضُ خطبتُه على عمله، فإن كان صادقاً صُدِّق، وإن كان كاذباً قُرِضتْ شفتاهُ بمقاريضَ من نار، كلما قُرِضتا نبتتا[4].

قلت: ويجبُ عدم الثقة بالكذّاب، فإنه لا مروءة له.

وقد قيل: ليس لكذوبٍ مروءة، ولا لضجورٍ رياسة[5].

ولا يُستعانُ به في عمل.

فقد كتب عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ إلى بعض عمّاله: إياك أن تستعين بكذوب، فإنك إن تُطِع الكذوب تهلك[6].

ولا يُوثَقُ به في نصيحة، فلا يُستنصح، ولا يُصدَّق.

فقد قيل في منثور الحكم: الكذاب لصّ، لأن اللصَّ يسرقُ مالك، والكذابُ يسرقُ عقلك[7].

وقال وهب بن منبه رحمه الله: إذا اطلعَ العلماءُ على أمرِ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، الحديث الأول من الباب ٩٣.

(٢) فتح الباري ١٢/١٣٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) إحياء علوم الدين ٣/٢٠٢.

(٥) المحاسن والمساوىء ص ٤٤٣.

(٦) مساوىء الأخلاق ومذمومها للخرائطي ص ٦٥.

(٧) أدب الدنيا والدين ص ٢٦١.

الكاذب وتبيَّن لهم، كذبوا خبره، وأبادوا شهادته، واتهموا صدقه، واحتقروا شأنه، وأبغضوا مجلسه، واستخفوا منه بسرائرهم، وكتموا حديثهم، وصرفوا عنه أمانتهم، وغيَّبوا عنه أمرهم.. ولم يحضُروه شيئاً من محاضرهم، ولم يأمنوه على شيء من سرِّهم، ولم يحكِّموه في شيءٍ مما شجر بينهم[1].

ولا شك أن الكذب عملٌ مرذول، وصفة ذميمة، فهو من خصال النفاق، ومن شعب الكفر، بل إن الكفر نوعٌ من أنواعه، فالكذب جنس، والكفرُ نوعٌ تحته!

والكذبُ من أسباب ردِّ القول، ونزعِ الثقة من الكاذب، والنظرِ إليه بعينِ الخيانة.

والكذبُ دليلٌ على ضَعَةِ النفس، وحقارةِ الشأن.

والكذاب مهين النفس، بعيد عن عزَّتها المحمودة[2].

وكلُّ عملٍ فاسدٍ ظاهرٍ أو باطن فمنشؤه الكذب! والله تعالى يعاقبُ الكذاب بأن يُقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه، ويثيبُ الصادق بأن يوفقه للقيامِ بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالحُ الدنيا والآخرة بمثل الصِدق، ولا مفاسدهما ومضارُّهما بمثل الكذب[3]!

قال لقمان عليه السلام: «من كذبَ ذهبَ ماءُ وجهه»[4]!

وقد قيل: من قلَّ صدقهُ قلَّ صديقُه[5].

ومن العقوبات الإلهية العاجلة ما سبق أن أوردته من قول أنس رضي الله عنه: إن الرجل ليُحرمُ قيامَ الليلِ وصيامَ النهارِ بالكذبة يكذبها!

---

(١) حلية الأولياء ٤/٣٧.

(٢) الكذب: مظاهره ـ علاجه ص ٨.

(٣) الكذب ص ٢٦.

(٤) شعب الإيمان ٤/٢٠٨ رقم ٤٨١٤.

(٥) أدب الدنيا والدين ص ٢٦٢.

وحسبُ الكذاب عقاباً فرارُ الناس من تصديقهِ وإن كان صادقاً!

قيل لأرسطاليس: ما كسبُ الكذابين؟

قال: عدمُ تصديقهم في شيءٍ وإن وافقوا الواقع!

وما أصدقَ المثل العربي الذي يقول: ليس للكذاب رأي[1]!

(١) فلسفة الكذب ص ١٢٢.

علاج الكذب

العجيبُ في أمرِ الكذابِ أنه يلجأ إلى الكذبِ ليصدِّقه الناس، فلماذا لا يصدُقُ ويستريح؟!

وهذا ما قاله بعض العقلاء: إنما يكذبُ الإنسانُ ليُصَدَّق، فليَصْدُقْ وليسترحْ[1]!

ولكن هذا لا يتأتّى له ما دام على حاله، لا يغيِّرُ ما بنفسه!

ولا شكَّ أن التزامَ الصدقِ يستلزم عزيمةً صادقة، ويتطلَّبُ مشقةً وجهداً، ورياضة نفس، وصبراً وشجاعة.

وإذا أردتَ أن تعرف قبح الكذب من نفسك فانظر إلى كذب غيرك، وإلى نفورِ نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك لكذبه.

ومن الأمور التي تعين على ترك الكذب والتزامِ الصدق:

ـ **معرفةُ الكاذبِ حرمةَ الكذبِ وشدةَ عقابه**، وتذكُّرُ ذلك مع كلِّ حديث وفي كلِّ مجلس، واستحضارُ فضائل الصدق العاجلة والآجلة للانبعاث إليه، واستحضارُ قبائح الكذب العاجلة والآجلة لتجنُّبه، فإن الصدق طريق إلى الجنة، وإن الكذب طريق إلى النار.

ـ **أن يعلم الكذابُ أنه متصفٌ بصفةٍ من صفات المنافقين**.

---

(١) شعب الإيمان ٤/ ٢٣٤ رقم ٤٩٠٨.

- **أن يعلم أن ثقة الناس به تزول.** وهذا من خسران الدنيا والآخرة.

- **أن يستشعر عظمَ الضرر الذي سيلحق بالمسلم من جراء كذبه.**

- **الاستعانةُ بالله عز وجل،** وذلك بسؤاله الإعانة والتسديد والتوفيق، فمن أعانه الله وسدَّده ووفَّقه هانت عليه المصاعب، وخفَّت عليه المتاعب. أما إذا خُذِلَ الإنسانُ ووكلَ إلى نفسه، فإنه سيخيبُ مسعاه ويضيعُ جهده.

- **مراقبةُ الله، واستشعارُ اطِّلاعه جلَّ وعلا.** فإذا راقبَ العبدُ ربَّه، واستشعر اطِّلاعه عليه، واستحضرَ أنه ما يلفظُ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد، انبعث إلى التزامِ الصدق، وتجنُّب الكذب.

- **تعويدُ النفسِ على الصدقِ وتوطينُها عليه،** والمحافظةُ على اللسانِ ومحاسبتُه، وذلك بأن يتكلَّف الإنسان الصدق مرةً حتى يصبح سجيَّةً له وطبعاً، وأن يقول الحقَّ حتى وإن كان هناك نقصٌ ظاهريٌّ يراه، فإن الخيرَ في الصدق. قال الشاعر:

عوِّدْ لسانكَ قولَ الخير تحظَ به   إن اللسانَ لِمَا عوَّدْتَ معتادُ

- **الحرصُ على أداءِ الصلاةِ وتكميلها، وإعطائها حقَّها من الخشوع وغيره،** لأن الصلاةَ تنهى عن الفحشاء والمنكر، والكذبُ من جملة ما تنهى عنه الصلاة من منكر. فإذا أعطاها حقَّها نال الصدق وتجنُّب الكذب، وكان متخلِّقاً بأخلاق المؤمنين وعباد الله الصالحين.

- **قراءة القرآن بالتدبُّر والتعقُّل،** فهو يهدي للتي هي أقوم، والتزامُ الصدقِ وترك الكذب من جملة ما هو أقوم.

- **تنشئة الصغار على الصدق،** وتحبيبه إليهم، وتشجيعهم وحفزهم على قول الصدق، وتقبيح الكذب في نفوسهم ومعاقبتهم عليه.

- **تركُ مجالسِ الكذبِ وفضولِ الكلام والإقبالُ على مجالس الذكرِ**

وحِلق العلماء، ومعاشرة الصادقين ومجانبة الكاذبين، فإن المعاشرةَ تستدعي تأثرَ الإنسان بمن يعاشره ويخالطه، فالصاحب ساحب، والطبع استراق، فإذا نأى بنفسه عن مجالسةِ الكاذبين فإنه سيسلمُ من أثرهم السيء، فتبقى صورةُ الكذبِ قبيحةً في ذهنه، بخلافِ ما إذا عاشرهم، فإنه سيأخذُ من طباعهم السيئة، وسيستمرىء الكذبَ ولا يعودُ يُنكره!

- **اتباعُ هدي السلفِ من القرونِ الهجرية الأولى بشكلٍ عام**، ففيه الخيرُ والصفاء، وما بعده تختلطُ أمورٌ ببعضها البعض، وعلى المرءِ أن يتحرى الدقةَ ويختارَ ما هو أقربُ إلى السنةِ وهدي السلفِ الصالح. قال رسولُ الله ﷺ:

«أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب، حتى يَحْلِفَ الرجلُ ولا يُسْتَحْلَفَ، ويشهدَ الشاهدُ ولا يُسْتَشهدَ...»[1] .[2].

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة ٤/ ٤٦٥ رقم ٢١٦٥ وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. والحاكم في المستدرك ١/ ١١٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) الكذب ص ٢٩ - ٣٠، الكذب: مظاهره - علاجه ص ٢٩ - ٣٢، جريدة العالم الإسلامي (محرم ١٤١٤هـ) مع تصرف واختصار.

نصائح في ذم الكذب ولزومِ الصدق

الصدقُ خصلةٌ محمودة، وسجيّةٌ مرغوبة، تألفها الفطرةُ السويّة، وتدعو إليها الشرائع السماوية.

يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[١].

وأخرج البيهقي عن مطر الوراق قوله: خصلتان إذا كانتا في عبدٍ كان سائرُ عمله تبعاً لهما: حسنُ الصلاة، وصدق الحديث.

وأخرج عن الفضيل قال: لم يتزيّن الناسُ بشيءٍ أفضل من الصدق، وطلب الحلال[٢].

قال ابن حبان: الصدقُ يرفعُ المرءَ في الدارين، كما أن الكذبَ يهوي به في الحالين[٣].

وقال بعض الحكماء: عليك بالصدق، فما السيفُ القاطعُ في كفّ الرجلِ الشجاعِ بأعزّ من الصدق، والصدقُ عزٌ وإن كان فيه ما تكره، والكذبُ ذلٌ وإن كان فيه ما تحب، ومن عُرفَ بالكذب اتُّهمَ في الصدق[٤].

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٢) الدر المنثور ٣/ ٥٢٠.

(٣) روضة العقلاء ص ٥٤.

(٤) المحاسن والمساوىء ص ٤٣٢.

وقيل: الصدقُ ميزان الله الذي يدورُ عليه العدل، والكذبُ مكيالُ الشيطانِ الذي يدورُ عليه الجور[١].

وقال بعض الحكماء: الخرسُ خيرٌ من الكذب.

وقال بعض البلغاء: الصادقُ مصانٌ خليل، والكاذبُ مهانٌ ذليل.

وقال بعض الشعراء:

وما شيءٌ إذا فكرتَ فيه بأذهبَ للمروءةِ والجمالِ
من الكذبِ الذي لا خيرَ فيه وأبعدَ بالبهاءِ من الرجالِ[٢]

وقال كاتب حديث: إياك والكذب، فإنه يُفسد عليك تصوُّرَ المعلومات على ما هي عليه، ويُفسدُ عليك تصويرها وتعليمها للناس، فإن الكاذبَ يصوِّر المعدومَ موجوداً والموجودَ معدوماً، والحقَّ باطلاً والباطلَ حقّاً، والخيرَ شراً والشرَّ خيراً، فيفسدُ عليه تصوُّرَهُ وتعلُّمَهُ، عقوبةً له، ثم يصوِّرُ ذلك في نفسِ المخاطَبِ المغترِّ به، الراكنِ إليه، فيُفسدُ عليه تصوُّرَهُ وعلمه. ونفسُ الكاذبِ مُعرضةٌ عن الحقيقةِ الموجودة، نزّاعةٌ إلى العدم، مؤثرةٌ للباطل..

فاجتنبْ صحبةَ الكذّاب، فإنه مثلُ السراب يلمعُ ولا ينفع، ولا تجعل نفسكَ مهينةً وأنت ترى أنه في قرارةِ نفسه استطاعَ بذكائه أن يوهمك ويدلِّسَ عليك، بل انفر منه ولا تدعهُ يلوِّثُ سمعك ويخطِّىءُ معلوماتك ويُفسد عليك صفاءك[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٦١.

الكذب: مظاهره ـ علاجه ص ٢٤ ـ ٢٦.

(٣) الكذب ص ٥، ٣١.

الآثار الحميدة للصدق

للصدق آثارٌ حميدة، وعوائدُ نافعةٌ عديدة، تبَيَّنَ بعضُها من خلال الفقرة السابقة، وهذا إكمال لبعض ما مضى وتأكيدٌ عليه.

فالصدقُ يدلُّ على حسنِ السيرة، ونقاءِ السريرة، وسموُّ الهمَّة، ورجحانِ العقل، كما أن الكذبَ عنوانُ سَفَهِ العقل، وسقوطِ الهمَّة، وخبثِ الطويّة.

والناسُ لا يطمئنون إلا إلى معاملةِ الصادقِ الأمين، وشأنُهم الانصرافُ عن الكاذب المحتال.

وقد يحرصُ التاجرُ أو الصانعُ على دراهمَ يقتنصها بكلمةٍ غير صادقة، فإذا هو يضيِّعُ سمعةً طيبة، ويخسرُ ربحاً وافراً.

والناسُ إذا علموا صدق اللهجة من شخصٍ أكرموه، وأجلُّوهُ وسوَّدوه، وحرصوا على صحبته. ومن هنا تطيبُ حياة الصادق، ويكثرُ أُنسه، وتسعدُ نفسه، ويصفو باله، ويعينُه صدقُه على التخلُّص من المكدِّرات.

والصادقُ تأبى عليه نفسُه الكريمة، ودينُه القويم، أن يكذب، فيسلمُ بذلك من تبعات الكذب، وينأى بنفسه عن ذلِّ الاعتذار، والتماس المسوِّغات، التي لا بدَّ للكاذبِ أن يقع فيها، مما يجعلُ الصادق عزيز النفس، مهيبَ الجناب.

والصدقُ يُكسبُ الفردَ شجاعةً وثقةً في النفس، لأن الكاذبَ على

وجلٍ من أن يُكشفَ أمره، ويتبيَّنَ كذبه، فتراهُ ذليلاً، خائفاً، مذعوراً، يحسَبُ كلَّ صيحة عليه!

أما الصادقُ فيتحركُ بخطى ثابتة، وبثقة عالية. .

وللصدق آثاره الحميدة على الجماعة، فهي تسعد، وتنتظمُ شؤونها على قدرِ احتفاظها بفضيلة الصدق، فالمعاملات كالبيع، والإجارة، والقرض، والشركة، لا يستقيمُ سيرها إلا أن تديرها لهجة صادقة. . .

والذي يستهينُ بالكلمة الكاذبةِ ويطلقُ بها لسانه، فإنه يؤذي نفسه، ويرهقُ المجتمعَ خللاً، ويورثُه فساداً عريضاً. فالكاذبُ لا يعدُّ عضواً أشلَّ فحسب، وإنما هو عضوٌ يحملُ دماً مسموماً لا يلبثُ أن يسري إلى الأعضاءِ المتصلةِ به فيؤذيها[1].

(١) الكذب: مظاهره ـ علاجه ص ٣٣ ـ ٣٨ (باختصار وتصرف).

طامَّةُ الكذب في الغرب

ما الذي يردعُ رجلَ الغربِ من أن لا يكذب، سوى الخوفِ على مصلحته المادية، بعد أن انفلتَ من دائرةِ الأديان، ورضي لنفسه بأخلاقٍ اجتماعية هشّة، تتقاذفها التطوراتُ الجديدةُ التي لا تنتهي، حتى تأتي على آخرها في يومٍ من الأيام؟!

إنها المدينةُ التي ينخرُ في أساسها أمراضٌ اجتماعية خطيرة، ستتهاوى من جرّائها إذا اجتمعت عليها المعاول، وصارت تنال منها ليلَ نهار...

والكذبُ أحدُ هذه الأمراضِ التي يطفحُ بها الشارعُ الغربي، حتى وصلَ الأمرُ إلى درجةٍ لا تصدَّق، بحيث يصحُّ أن يقال إن كلَّهم، أو جلَّهم يكذبون!

فقد ذكرت دراسةٌ أمريكية أن ٩١٪ من الأمريكيين الذين شملهم استطلاعٌ أجريَ على ألفي شخص، يكذبون بصفةٍ متواصلة، إن كانوا في عملهم أو في بيوتهم[1]!

وإذا أخفى مريضٌ على أحدٍ مرضَهُ المُعدي، ألا يعتبرُ هذا من الكذبِ العملي؟ وكم هم الذين يخفونَ عن غيرهم مرضَ الإيدز وغيره عن الآخرين؟..

---

(١) نشرتها جريدة الرياض ع ٨٤١٨ (١/١/ ١٤١٢هـ).

وقس الأمورَ على مثل هذا.. لتجدَ أن الكذب في الغرب قد طمّ!

ومن سار على دربهم كان في حكمهم، أو يُصيبهُ ما أصابهم!

وقد نشرت صحيفة SUNDY Telegraph البريطانية نتائجَ دراسةٍ جديدة، جاء فيها: أن الناس يكذبون مرةً كل ثماني دقائق كمعدّلٍ وسطي!

وهو ما يعني أنهم يفعلون ذلك مائتي مرة في اليوم الواحد!

وقد أعدّ الدراسة باحثون في جامعة كاليفورنيا الجنوبية في لوس أنجلوس، بعدما جهّزوا عشرين شخصاً بجهاز للتنصُّت. وتبيّن لهؤلاء الباحثين أن أكبر الكاذبين هم أولئك الذين يقيمون اتصالاتٍ اجتماعيةً كثيرة، أو الذين يسعون بحكم مهنتهم وراء المعلومات. ويندرجُ ضمن هذه الفئةِ الباعة، وسكرتيراتُ الأطباء، ورجالُ السياسة، والصحافيون، والمحامون، والعلماءُ النفسيون.

ونقلت الصحيفة عن العالم النفسي جيرالد جيليسون الذي ترأسَ فريق الباحثين قوله: إن الأكاذيبَ هي في أغلب الأحيان من النوع الصغير جداً (!) لكنها مع ذلك تبقى أكاذيب!

وأضافَ أن من بين الأكاذيبِ المألوفةِ القول: آسف لإزعاجك. مع أن الحقيقة هي أن القائلَ لا يبالي على الإطلاق بما يصيبُ الآخرَ من إزعاج!

ومن بين الأمثلة أيضاً: التذرُّعُ بازدحامِ السير حين يكونُ السببُ الحقيقيُّ للتأخر عدمَ احترامِ القائل للمواعيد.

لكن جيليسون يدافع في الوقت نفسه عن الكذب، معتبراً أنه ضروري لحسنِ سيرِ المجتمع!! ويقول: إن الحياةَ المشتركةَ تُصبحُ مخيفةً إذا درجَ الجميعُ على قولِ الحقيقة دائماً! فشخصٌ يتمتعُ بهذه الصفة يُتَّهمُ على الفور بالعدوانية[1]!!!

(١) رسالة الجامعة س ٢٣ ع ٦١٩ (٢٦/١٢/ ١٤١٧هـ).

والأكاذيبُ في الصحافةِ البريطانية والأمريكية والأوروبية بصفةٍ عامة كثيرة، وليست كلُها سياسية، بل إنها تشمل نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية، والحوادث أيضاً!

وقد جمعَ الصحفي البريطاني «هنري بورتر» مجموعةً من هذه الأكاذيب، نشرها في كتاب أسماه «أكاذيب ملعونة»، عرضَ بعضَ ما فيها صحفي من مصر[1]، أختارُ منها مقطعين فقط!

فقد قرأ رئيس تحرير إحدى الصحف باب «حظك اليوم» فوجد أن المحرِّرة التي تقرأ الطالع و«تشوف البخت» قالت عن حظه في ذلك اليوم:

«لا تكرر نفسك اليوم».

قال رئيس التحرير يحدِّث نفسه: أظنني قرأتُ ذلك من قبل!

وأخذ يراجع «باب الحظ» خلال أسبوع، فوجد أن المحرِّرة لديها عدد محدود من الطوالع تكرِّره للقراء، فما ينشر عن طالعِ أصحابُ «برج الجدي» يوماً، يصبحُ من نصيب مواليد «برج الحمل»، ثم ينتقل إلى مواليد «برج الميزان» وهكذا!

سألَ الصحفيةَ عن ذلك، فلما تلعثمت قرر فصلها من عملها.

واكتشفَ رئيسُ التحرير بعد ذلك أن زوجَ الصحفية يحرِّرُ بابَ الحظِّ في صحيفةٍ منافسة، وأن الاثنين كتبا معاً الطالعَ للصحيفتين مقدماً خلال عطلتهما الصيفية، وهي فترة شهر!

قلت: والأبراج، وما يقالُ فيها من طالع.. كلُّه كذبٍ في كذب! ولا أدري ماذا يسمَّى عملُ تلك الصحفية بعد ذلك.. أهو كذبٌ مربَّع، أم مكعَّب.. أم ماذا؟ المهم أن الكذبَ عكسُ الحقيقة، فإذا تضاعف الكذب... تأخرت الحقيقة وغابت أكثر.

---

(١) محسن محمد، عرضه في جريدة الشرق الأوسط ٢٧/٦/ ١٩٨٥م.

والمقطعُ الآخر فيه طلبُ رئيس تحريرٍ آخر من محررٍ باب الحظّ أن يكتبَ توقعاته عن سنة مقبلة. فكتبَ المحررُ ما يعتقده طبقاً لتصوراته أو دراساته أو استنتاجاته.. إلخ.

لاحظَ رئيسُ التحرير أن كلَّ التوقعات مملّة، ليست فيها حرارة، وأخبارها عادية لا تثيرُ أحداً، ليس فيها موتٌ لمشهور، أو زواجٌ لفنانة، أو طلاقٌ لفنان، أو جريمةُ قتل فيها حبٌّ وغيرةٌ وعنفٌ وكراهية...

طلبَ رئيسُ التحرير من صحفي شاب أن يضعَ بعضَ الإثارةِ في هذه التوقعات، فملأها الصحفي بكلِّ المغامرات كما يتخيّلها.. انتحارُ مشهور، ومصرعُ فنان، ووفياتٌ للكبار، وأزماتٌ قلبيةٌ لشبابِ الفنانين وأبطالِ الرياضة.

ورأى رئيسُ التحرير أن ينشرَ هذه الأحداثَ على أنها قادمة، وأن الصحيفة تستطيع قراءة المستقبل و«تتنبّأ» به!

وبعد انتهاء العام، أحصى البعضُ التوقعات الصادقة والكاذبة، ففازت الصحيفة بأكبرِ رصيدٍ من الأكاذيب المثيرة!



ومما وقفتُ عليه من الحوادث الفردية أن قوات الأمن في ولاية فلوريدا اكتشفت شخصيةً نسائية «محترمة» تقلق الولاية باتصالاتها الهاتفية المسعورة، بعد أن بلّغتْ عن حوادث خطف، واندلاعِ نيران، وقتل، دون أن تحدثَ هذه الأحداث على أرضِ الواقع!

وبسؤالها قالت: إنها تشعرُ بالسعادة حينما «تكذب» على المجتمع! لأن الكذبَ هو السلوى الوحيدة في حياتها الأرستقراطية المملّة[1]!

---

(١) مجلة الهدف ع ١٠٤١ (١٠/١٠/ ١٤٠٢هـ).

الكذب.. حتى في الأبحاث العلمية!

والخطورةُ الكبيرة أن تمتدَّ جرثومةُ الكذبِ إلى أرقى المستويات الفكرية، التي تعملُ في أدقِّ البحوث، بما يهمُّ جميعَ الناس!

وهذا ما حدثَ فعلاً، بل تعدَّت الأهميةِ في بعض البحوثِ إلى نظريات، وإجراءات علمية أُنفقت عليها أموالٌ طائلة، وسوِّدتْ فيها مئاتُ أو آلافُ الكتب.. ثم ينهارُ كلُّ هذا عندما يَتبيَّنُ أن الأمرَ كان فيه كذبُ شخصيةٍ ما من الشخصيات العلمية المثيرة!

وهذا ما حدث فعلاً.. عندما زوَّر أحد الباحثين جمجمةً ليثبت زعمَ نظرية «الإنسان قرد»!

وقد كان دارون هو الذي جاء بفرية أن أصل الإنسان قرد في نظريته «النشوء والارتقاء» التي انهارت أركانها تحت مباضع التشريح والبحث العلمي الحديث.. ومع ذلك فإن عدداً كبيراً من المشتغلين بدراسة أصل الإنسان صدقوها، بل وقفوا يدافعون عنها ويبحثون عن الأدلة التي تدعمها، ويرفضون أيَّ رأي مخالف لذلك!

وبناءً على هذا الاعتقاد قامت كثير من النظريات والدراسات «العلمية»، وألقت النظرية بظلالها على العلوم الإنسانية والأدب، وأصبحت متكأً يفسَّرُ على ضوئه كثير من سلوك وممارسات الإنسان!

وكان يحدُّ من اقتناعِ المتخصصين والتسليمِ بصحةِ هذا الافتراض تلك الفجوة القائمة بين تَكوين الإنسان وتكوينَ القرد العضوي، ولم

يستطع العلماء إيجادَ تفسيرٍ لها، وظلوا يجيبون على المتشككين بأن الحفريات الأثرية ستميط اللثام عن الدليل في يوم من الأيام.. حتى جاء أحد العلماء البريطانيين عام ١٩١٢م ويدعى «داوسون» بما اعتقد أنه الخبر اليقين! فأعلن عن اكتشاف ما عُرف بإنسان بلتداون «PILTDOWN MAH» أي إنسان ما قبل التاريخ. وبلتداون مدينة صغيرة قرب ليويس.

وداوسون هذا عالم بريطاني عُرف باهتمامه بالتاريخ، مما جعل كثيراً من كبار العلماء المشهود لهم يصدِّقون أن تلك الجمجمة هي بقايا إنسان الفجوة المفقودة في تاريخ الإنسان، التي ستؤكد الصلة بين الإنسان والقرد!

واعتقد العلماء أيضاً أن إنسان بلتداون هذا عاش بين ما قبلِ مليون ومائتي ألف عام مضت، وهو يجمعُ بين جمجمة إنسان وفكِّ قرد، وبذلك أصبح الدليلَ الوحيد الذي استبشرَ به أصحابُ نظرية «الإنسان قرد» وقالوا إنهم جاؤوا بالدليل المفحم لكلِّ متشكِّك!

إلا أن فرحتهم لم تستمر، وإن سيطرت النظرية على الساحة العلمية أكثر من أربعين عاماً! لأنها لم تفحص أو تخضع لتجربة علمية إلا في عام ١٩٥٣ بعد واحد وأربعين عاماً من اكتشافها!

وكانت المفاجأة التي اندهش أمامها الجميعُ عندما اتضح أن تلك الجمجمة (الصورة) جمجمة مغشوشة وليست حقيقية! بل استطاعوا ـ بما وفَّره العلم من وسائل فحص وتدقيق ـ أن يتأكدوا من أن الجمجمة، هي لإنسانٍ حديث عاش في القرون المتأخرة، وأن الفكَّ لقردٍ من القرود المعروف باسم «الأورانجوتان» وهو نوع من القرود العليا تشبه الإنسان وتعيش في أقاليم بورنيو وسومطرة!

ومنذ ذلك التاريخ ظلَّ السؤال عمَّن ارتكب هذه الجريمة الخادعة معلَّقاً بلا إجابة!

وقد اعتقد جي. إس. فاينز مؤلف كتاب «تزوير بلتداون ـ

١٩٥٥م» أن شارلس داوسون هو الذي حبكها، واعتقد آخرون أن بيير تيلهارد القس اليسوعي صديق داوسون ومعاونه هو الذي قام بالعملية!

وفي «دبلن» نشر المؤرخ المعروف «بيتر كوستيلو» دراسة في واحدة من كبريات مجلات الآثار، ذكر فيها أن الرجل الذي زوَّر الجمجمة هو صمويل وودهيد، المحلِّل في «كونتيه سكس» حيث تمَّ الكشف عنها. وقد ظلَّ هذا المؤرخ يجري أبحاثه وتقصِّيه للموضوع خلال سبع سنوات متصلة، وأورد تفاصيل تحرِّيه في المسألة في مجلة الآثار. «ANTI QUITY».

وقال إن داوسون أعطى الجمجمة لصمويل وودهيد قبل أن يتمَّ العثور على الفك، ليقوم بتقويتها بأحد محاليل البوتاسيوم «ثاني كرومات البوتاسيوم» بهدف تجهيزها للحفظ. وكان وودهيد ذا صلة بمجموعة كبيرة من المقتنيات الجيولوجية والحيوانية القديمة المستجلبة من بورنيو، حيث يرجِّحُ أن فكَّ قرد الأوراجون قد أحضرَ منها. ثم يتوصل كوستيلو إلى أن الآثار السوداء التي تركها ثاني كرومات البوتاسيوم في منطقة الالتحام بين الجمجمة والفك هي التي جعلت العلماء يعتقدون بأنها جمجمة قديمة ضاربة في القدم!

وأخيراً يقول هذا العالم إن المنطقة التي نقبت منها الجمجمة في بلتداون معروف أنها سبق أن استخدمت كمقابر جماعية عندما ضرب الطاعون المنطقة في عام ١٣٤٨ - ١٣٤٩م وهذا التاريخ تؤكده المعلومات التي تمَّ التوصلُ إليها عام ١٩٥٩ والتي حدَّدت عمر تلك الجمجمة بـ ٦٢٠ عاماً[١].



هذا وقد تكون هناك أسرار أخرى وراء كثير من البحوث «العلمية» لا نعرفها أصلاً، ويبقى معترفاً بها لعقودٍ من الزمن، وتبقى

---

(١) جريدة اليوم ع ٤٥٤٦ (٢٤/٢/ ١٤٠٦هـ) نقلاً عن الأوبزيرفر.

في ظلام حتى يأتي من يكشفها لأسباب وأسباب!

وقد أرادت صحيفة بريطانية مهاجمة رئيس حزب العمل، فعرضت قصة حياته العامة والخاصة، كما عرضت آراءه في كلِّ الموضوعات على طبيب نفسي، وقالت للطبيب: حلِّل هذه الشخصية.

وظنَّ الطبيب أن صاحب الشخصية متهم في إحدى القضايا، وأخفت الصحيفة اسمه لأسباب قانونية، فأخذ الطبيب يتكلم عن الأمراض والعلل النفسية التي أصيب بها، ورأيه في مستقبله، ولماذا يميل إلى الشر.. إلخ!

وقدمت الصحيفة هذا كلَّهُ للقراء، بعد أن ذكرت أنه خاص برئيس حزب العمال!

وأثار النشرُ ضجة.. فالطبيبُ النفسي رجلٌ مشهور، له دراساتٌ عميقة وأبحاثٌ ذائعةُ الصيت، ولم يستطع الطبيبُ التراجعَ عن أقواله، أو اتهاماته..[1]!



ولا ينتهي الكلامُ في إيراد موضوعاتٍ وأمثلةٍ أخرى التي يجري فيها الكذبُ والخداع، مثلما يراه المشاهدُ من الإعلانات التجارية التي تقفُ وراءها شركات ومصانع منتجة للأدوية والأغذية وغيرها، مثل الدعاية لأدوية الصلع، ومزيل حبِّ الشباب، وتخفيف الوزن، وحديث الشركات المنافسة الذي لا ينتهي عن مخترعاتها، والفرق بينها وبين مخترعات غيرها..

هذا ما عدا «السرقات العلمية» التي هي نوعٌ من الكذبِ العملي..

وأشيرُ هنا أخيراً إلى ظهور مقالات «علمية» في مجلات علمية

(١) جريدة الشرق الأوسط ٢٧/٦/ ١٩٨٥م.

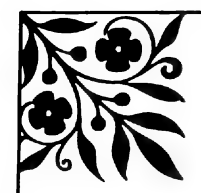
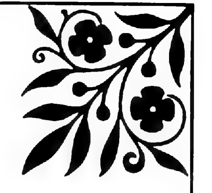
أمريكية «محترمة» تحتوي على خداع كبير، وانتحال، وتجارب لم تجرَ حقيقة، في مجال الطبيعةِ والعلومِ الطبية الحيوية، وهي مجردُ غشٍّ في المعلومات!

لكن القائمة الخاصة بتقارير الأبحاث المخادعة ليست طويلة!

وقد كتبت المعاهدُ العلمية المميزة ما يشيرُ إلى هذا في ١٠ أبريل ١٩٨١م بأنه لا شك أن هناك جانباً مظلماً من العلم قد برز خلال العقد الماضي، أربع حالات كبرى من الغش في أبحاث الطب الحيوي ظهرت إلى الوجود في سنة ١٩٨٠م فقط! مع بعض ملاحظات لوحظت في مطبعة خفيةٍ يمكن أن تسمى «موجة جرائم». إنها القائمة نفسها في جميع التقارير: حالة باثولوجي عرفَ أنه يستخدم خلايا ملوثة، واثنان من الباحثين الصغار اللذين انتحلا عملاً كان قد أُنجز بواسطة الغير، وفاحصٌ طبي وضعَ معلومات زائفة عن السرطان وعلاجه بالمواد الكيماوية في كشاف الحاسب الآلي.. والخسارة الحقيقية هي التي حدثت في ثقة الناس بالطرق العلمية...[1].

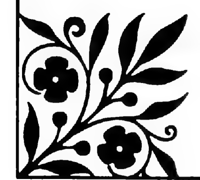
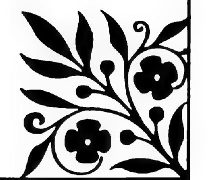
---

(١) كشف الكذب وموضوعات أخرى ص ١١٣ ـ ١١٤.

الفصل الثاني

كذبة نيسان
تأريخها ونماذج منها

شهر نيسان (أبريل)

«نَيْسان» هو الشهرُ السابعُ من شهورِ السنة السُّريانية، ويقابله «أبريل»، وهو الشهرُ الرابعُ من شهورِ السنةِ الرومية (الميلادية)، وفقاً للتقويم الشمسي الجريجوري (الميلادي) الذي هو الأصلُ في العالم الغربي.

وكان الرومان يسمونه «أبريليس» وهي كلمة ربما اشتُقَّتْ من كلمةٍ بمعنى «تتفتّح» للدلالة على موسم الربيع، حيث تظهر البراعم وتتفتح الأزهار. أو اشتقَّت من «أفروديت» إلاهة الحب والجمال عند الإغريق.

وقد كان «أبريل» الشهر الثاني وفق التقويم الروماني القديم، لكنه أصبح الشهر الرابع بعد أن عدَّلَ يوليوس قيصر التقويم في عام ٤٦ قبل الميلاد.

وأيضاً كان شهر أبريل هو مبدأ للسنة بدل يناير في فرنسا. وفي عام ١٦٥٤م أمر شارل التاسع ملك فرنسا بجعل أول السنة يناير (كانون الثاني) بدل أبريل.

ويرد اسم «نيسان» في تراثنا الإسلامي شعراً ونثراً.

وكانت الأقوام الساكسونية تحتفل في هذا الشهر بعيد آلهتهم «ايستر»، وهو الاسم الذي يطلق عليه الآن عيد الفصح عند النصارى في اللغة الإنجليزية.

ويحتفل الصينيون بمهرجان الطهارة والإشراق في أول أيام أبريل.

ويحتفل الناس في إنجلترا وكندا بيوم القديس جورج احتفاءً براعي إنجلترا[1].

(١) الموسوعة العربية العالمية ٦٦/١، المعجم الوسيط مادة «نيسان» أو «أبريل»، ترتيب القاموس المحيط، المادة الأولى، نشرة الجامعة السلفية (رجب ١٤٠٧هـ) ص ١١ ـ ١٢ (واعتماد الأخير على دائرة معارف القرن الرابع عشر ٢١/١، ومجلة هنا لندن ع ٤٣٨ أبريل ١٩٨٥م).

تأريخ كذبة أبريل (نيسان)

يومُ كذبةِ أبريل تقليدٌ غربي قائمٌ على المزاحِ (بالكذب)، حيث جرت عادة الأوروبيين ـ ومعهم بعض الأمم الأخرى كالهنود ـ بإطلاق الإشاعات والأكاذيب، وإذاعة أخبارٍ لا أساس لها من الصحة، والوعد بإرسال هدايا مع نية خلفِ الوعد، وغير ذلك مما هو قائم على الكذب والتكاذب!

ويُطلق على من يصدِّق هذه الإشاعات أو الأكاذيب اسم «ضحية كذبة أبريل».

وتسمى بالإنجليزية «مغفل أبريل» وكذلك بالألمانية، وتسمى بالفرنسية «سمكة أبريل»، وفي اسكتلندا «نكتة أبريل».

أما منشأ هذه العادة فموضعُ خلافٍ شديدٍ بين مؤرخي الاجتماع، وأشهرُ الآراءِ في نشأتها هي:

(١) إن أول أبريل كان أول يومٍ من أيام الصيد في بعض الأقطار، ولكن النجاح كان يغلب ألاّ يُرافقَ الصيادين في ذلك اليوم، إما لأنهم لم ينشطوا بعد، وإما لأنهم لم يعرفوا مواطنَ الصيدِ الجديدةِ التي يمكنُ أن تكونَ قد تغيرت عما كانت عليه في العام السابق، فاستبدل الناسُ بعادة الإخفاق في الصيد عادةَ الإخفاقِ في المواعيد والهدايا. إلخ. .

(٢) أن كلمة «سمكة» أبريل «بواسون» ـ «Poisson» محرفة عن

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني

كذبة نيسان تأريخها ونماذج منها